١/٢٦ / تفسيرُ سورةِ الأحقافِ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ .

قد تقدَّم بيانُنا معنى قولِه : ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] .

وقولُه : ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ما أحدَثْنا السماواتِ والأرضَ ، فأوجَدناها[2] خلقًا مصنوعًا ، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من أصنافِ العالمِ ، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ . يعنى : إلا لإقامةِ الحقِّ والعدلِ فى الخلقِ .

وقولُه : ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ . يقولُ : وإلا بأجلٍ لكلِّ ذلك معلومٍ عندَه ، يُفنيه إذا هو بلَغه ، ويُعدِمُه بعدَ أن كان موجودًا بإيجادِه إياه .

وقولُه : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : والذين جحَدوا وحدانيةَ اللهِ عن إنذارِ اللهِ إياهم - مُعرِضون ، لا يتَّعِظون به ، ولا يتفكَّرون فيعتبِرون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٠/٢٧٤ - ٢٧٦.

(٢) فى م : « فأوجدناهما » .

٢/٢٦ / يقولُ تعالى ذكرُه : قل يا محمدُ لهؤلاء المشركين باللهِ من قومِك : أرأيتم أيُّها القومُ الآلهةَ والأوثانَ التى تعبُدون من دونِ اللهِ ، أرُونى أىَّ شىءٍ خلَقوا من الأرضِ ؟ فإنَّ ربى خلَق الأرضَ كلَّها ، فدعَوتموها من أجلِ خلقِها ما خلَقَتْ من ذلك آلهةً وأربابًا ، فيكونَ لكم بذلك فى عبادتِكم إياها حجةٌ ! فإن من حُجَّتى على عبادتى إلهى وإفرادى له الألوهةَ ، أنه خلَق الأرضَ فابتدَعها من غيرِ أصلٍ .

وقولُه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : أم لآلهتِكم التى تعبُدونها أيُّها الناسُ ، شركٌ مع اللهِ فى السماواتِ السبعِ ، فيكونَ لكم أيضًا بذلك حجةٌ فى عبادتِكموها ، فإن من حجَّتى على إفرادى العبادةَ لربِّى ، أنه لا شريكَ له فى خلقِها ، وأنه المنفردُ بخلقِها دونَ كلِّ ما سواه .

وقولُه : ﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : بكتابٍ جاء من عندِ اللهِ من قبلِ هذا القرآنِ الذى أُنزِل علىَّ ، بأن ما تعبُدون من الآلهةِ والأوثانِ خلَقوا من الأرضِ شيئًا ، أو أنَّ لهم مع اللهِ شِركًا فى السماواتِ ، فيكونَ ذلك حجةً لكم على عبادتِكم إياها ؛ لأنها إذا صحَّ لها ذلك صحَّت لها الشركةُ فى النِّعمِ التى أنتم فيها ، ووجَب لها عليكم الشكرُ ، واستحقَّت منكم الخدمةَ ؛ لأن ذلك لا يقدِرُ أن يخلُقَه إلا إلهٌ .

وقولُه : ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . **اختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ ذلك** ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحجازِ والعراقِ : ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ بالألفِ ، بمعنى : أو ائتونى ببقيةٍ من علمٍ . ورُوِى عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلمىِّ أنه كان يقرؤُه : (أَوْ أَثَرَةٍ من علمٍ)[1] . بمعنى : أو خاصَّةٍ من علمٍ أوتِيتُموه ، وأوثِرْتم به علىَّ غيرِكم .

---

(١) وبها قرأ علىّ وابن عباس - بخلاف عنه - والحسن وعكرمة وقتادة وعمرو بن ميمون ، ورويت عن الأعمش . وهى قراءة شاذة . ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٣٨، والمحتسب ٢/ ٢٦٤.

والقراءةُ التى لا أستجيزُ غيرَها : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ بالألفِ ؛ لإجماعِ قرأةِ الأمصارِ عليها .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِها ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : أو ائتونى بعلمٍ بأن آلهتَكم خَلَقَتْ من الأرضِ شيئًا ، وأن لها شركًا فى السماواتِ ، من قبلِ الخطِّ الذى تخطُّونه فى الأرضِ[١] ، فإنكم معشرَ العربِ أهلُ عِيافةٍ[٢] وزجرٍ وكهانةٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ آدمَ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن سفيانَ ، عن صفوانَ بنِ سُليمٍ ، عن أبى سلمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . قال : خطٌّ كان يخطُّه العربُ فى الأرضِ[٣] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : قال أبو بكرٍ ، يعنى ابنَ عياشٍ : الخطُّ هو العِيافةُ[٤] .

---

(١) قال ابن الأثير : قال ابن عباس : الخط هو الذى يخطه الحازى ، وهو علم قد تركه الناس ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حُلْوانًا - أجرة - فيقول له : اقعد حتى أخطَّ لك ، وبين يدى الحازى غلام له معه مِيل ثم يأتى إلى أرض رِخوة فيخط فيها خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مَهَل خَطَّين خطين ، وغلامُه يقول للتفاؤل : ابْنَيْ عيان أسْرِعا البيان . فإن بقى خطان فهما علامة النُّجْح ، وإن بقى خط واحد فهو علامة الخيبة . قال ابن الأثير : الخط المشار إليه علم معروف . النهاية ٢/ ٤٧ .

(٢) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرِّها . وهو من عادة العرب كثيرًا . النهاية ٣/ ٣٣٠ .

(٣) أخرجه ابن المقرئ فى معجمه (٢٤٦) ، والحاكم ٢/ ٤٥٤ ، والخطيب فى تاريخه ٣٥٥/٤ من طريق سفيان به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٥/٢ من طريق صفوان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٧ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن مردويه ، وأحرجه أحمد ٤٤٩/٣ (١٩٩٢) عن سفيان به مرفوعًا ، وأخرجه الطبرانى (١٠٧٢٥) من طريق صفوان به مرفوعًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٥٩ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو خاصَّةٍ من علمٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . قال : أو خاصةٍ من علمٍ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . قال : أى : خاصةٍ من علمٍ .

٣/٢٦ /**حدَّثنا** عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، قال : ثنى أبى ، عن الحسينِ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . قال : خاصةٍ من علمٍ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو علمٍ تُثِيرونه فتستخرِجونه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ . قال : ﴿ أَثَـٰرَةٍ ﴾ : شيءٍ يستخرِجونه فِطْرةً[2] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو تأثِرون ذلك علمًا عن أحدٍ ممن قبلَكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ :

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٥ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٨ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٥ عن معمر ، عن من سمع الحسن .

﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ . قال : أحدٌ يأثِرُ علمًا[١] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو ببيِّنةٍ من الأمرِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ . يقولُ : بينةٍ من الأمرِ[٢] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ببقيةٍ من علمٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : سُئِل أبو بكرٍ ، يعنى ابنَ عياشٍ ، عن : ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ . قال : بقيةٍ من علمٍ[٣] .

وأولَى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : الأثارةُ البقيةُ من علمٍ ؛ لأنَّ ذلك هو المعروفُ من كلامِ العربِ ، وهو مصدرٌ من قولِ القائلِ : أثُر الشىءُ أثارةً ، مثلَ : سمُج سماجةً ، وقبُح قباحةً ، كما قال راعى الإبلِ[٤] :

* وذَاتِ أثارةٍ أكَلَت عَلَيْها *

يعنى : وذاتِ بقيةٍ من شحمٍ .

فأما من قرَأه : (أوْ أثَرةٍ) فإنه جعَله أثرةً من الأثَرِ ، كما قيل : قَتَرةٌ وغَبَرةٌ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٠٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٨ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٥٩.

(٤) ديوان الراعى النميرى (مجموع) ص ١٤٩، ومجاز القرآن ٢/ ٢١٢، ونسبه فى اللسان والتاج (أ ث ر) إلى الشماخ ، وينظر ديوان الشماخ ص٤٤٥ والتعليق عليه فيه .

٤/٢٦ / وقد ذُكر عن بعضِهم أنه قرأه : (أوْ أثْرَةٍ) بسكونِ الثاءِ[(١)] ، مثلَ الرَّجْفَةِ والخَطْفةِ ، وإذا وُجِّه ذلك إلى ما قلنا فيه مِن أنه بقيةٌ مِن علمٍ ، جاز أن تكونَ تلك البقيةُ مِن علمِ الخطِّ ، ومِن علمٍ اسْتُثِير مِن كُتُبِ الأوَّلين ، ومِن خاصةِ علمٍ كانوا أُوثِروا به .

وقد رُوى عن رسولِ اللهِ ﷺ فى ذلك خبرٌ بأنَّه تأوَّله أنه بمعنى الخطِّ ، سنذكُرُه إن شاء اللهُ تعالى . فتأويلُ الكلامِ إذن : ائْتُونى أيُّها القومُ بكتابٍ مِن قبلِ هذا الكتابِ ، بتحقيقِ ما سألتُكم تحقيقَه مِن الحُجَّةِ على دَعْواكم ما تَدَّعون لآلهتِكم ، أو ببقيةٍ مِن علمٍ يُوصَلُ بها إلى علمِ صحةِ ما تقولون مِن ذلك ، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فى دَعْواكم لها ما تَدَّعون ، فإن الدَّعْوى إذا لم يَكُنْ معها حُجَّةٌ لم تُغْنِ عن المُدَّعِى شيئًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وأىُّ عبدٍ أضلُّ مِن عبدٍ يَدْعو مِن دونِ اللهِ آلهةً ، ﴿ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ . يقولُ : لا يُجِيبُ دعاءَه أبدًا ؛ لأنها حَجَرٌ أو خَشَبٌ أو نحوُ ذلك .

وقولُه : ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وآلهتُهم التى يَدْعونهم عن دُعائِهم إياهم فى غفلةٍ ؛ لأنها لا تسمعُ ولا تنطقُ ، ولا تعقلُ . وإنما عنَى بوصفِها بالغفلةِ ، تمثيلَها بالإنسانِ السَّاهِى عما يقالُ له ، إذ كانت لا تفهمُ مما يقالُ لها شيئًا ، كما لا يفهمُ الغافلُ عن الشىءِ ما غفَل عنه . وإنما هذا توبيخٌ مِن اللهِ لهؤلاء المشركين لسُوءِ رأيِهم ، وقُبْحِ اختيارِهم فى عبادتِهم مَن لا يعقلُ شيئًا ولا يفهمُ ،

---

(١) وبها قرأ علىّ وأبو عبد الرحمن السلمىّ وقتادة . وهى قراءة شاذة . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤٠ ، والمحتسب ٢/ ٢٦٤ .

وتَرْكِهم عبادةَ مَن جميعُ ما بهم مِن نعمتِه ، ومَن به استغاثتُهم عندَ ما ينزلُ بهم مِن الحوائجِ والمصائبِ .

وقيل : ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾ . فأخرَج ذكرَ الآلهةِ وهى جمادٌ مُخرجَ ذِكْرِ بنى آدمَ ومَن له الاختيارُ والتمييزُ ، إذ كانت قد مَثَّلَتها عبدَتُها بالملوكِ والأمراءِ التى تخدُمُ فى خدمتِهم إيَّاها ، فأجرَى الكلامَ فى ذلك على نحوِ ما كان جاريًا فيه عندَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإذا جُمع الناسُ يومَ القيامةِ لموقفِ الحسابِ ، كانت هذه الآلهةُ التى يَدْعونها فى الدنيا لهم أعداءً ؛ لأنهم يتبرَّءُون منهم ، ﴿ وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وكانت آلهتُهم التى يعبُدونها فى الدنيا بعبادتِهم جاحِدين ؛ لأنهم يقولون يومَ القيامةِ : ما أمَرناهم بعبادتِنا ، ولا شَعَرنا بعبادتِهم إيَّانا ، تبرَّأنا إليك منهم يا ربَّنا .

/ وقولُه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وإذا تُقرأُ على ٥/٢٦
هؤلاء المشركين باللهِ مِن قومِك ﴿ ءَايَٰتُنَا ﴾ . يعنى : حُجَجُنا التى احْتَجَجْناها عليهم ، فيما أنزَلناه مِن كتابِنا على محمدٍ ﷺ ، ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ . يعنى : واضحاتٍ نيِّراتٍ ، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : قال الذين جَحَدوا وحدانيةَ اللهِ وكذَّبوا رسولَه للحقِّ لمَّا جاءَهم مِن عندِ اللهِ ، فأنزَله على رسولِه ﷺ : ﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . يعنون : هذا القرآنُ خداعٌ يخدَعُنا ، ويأخذُ بقلوبِ مَن سمِعه ، فعلَ السحرِ ، ﴿ مُّبِينٌ ﴾ . يقولُ : يَبِينُ لمَن تأمَّله ممن سمِعه أنه سحرٌ مبينٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أمْ يقولُ هؤلاء المُشركون باللهِ مِن قريشٍ : افترَى محمدٌ هذا القرآنَ ، فاختَلَقه وتَخَرَّصه كذِبًا . قُلْ لهم يا محمدُ : إنِ افتَريتُه وتخرَّصْتُه على اللهِ[1] ، ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى ﴾ . يقولُ : فلا تُغْنون عنى مِن اللهِ إن عاقَبَنى على افْتِرائى إياه وتَخَرُّصِى عليه شيئًا ، ولا تقدِرون أن تَدْفَعوا عنى سُوءًا إن أصابَنى به .

وقولُه : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ . يقولُ : ربِّى أعلمُ مِن كلِّ شىءٍ سِواه ، بما تقولون بينَكم فى هذا القرآنِ .

والهاءُ مِن قولِه : ﴿ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ مِن ذكرِ القرآنِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] . قال : تقولون[2] .

وقولُه : ﴿ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ . يقولُ : كفَى باللهِ شاهدًا علىَّ وعليكم بما تقولون مِن تَكْذيبِكم لى فيما جئتُكم به مِن عندِ اللهِ ، الغفورِ الرحيمِ لهم ، بألا يُعَذِّبَهم عليها بعدَ توبتِهم منها .

---

(١) بعده فى م : « كذبا » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٢ ، ومن طريقه الفريابى - كما فى التغليق ٤/ ٣١١ - وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قُلْ يا محمدُ لمُشْركى قومِك مِن قريشٍ : ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . يعنى : ما كنتُ أوَّلَ رسلِ اللهِ التى أرسَلها إلى خَلْقِه ، قد كان مِن قَبْلى له رسلٌ كثيرةٌ أُرسلت إلى أممٍ قبلكم .

يقالُ منه : هو بِدْعٌ فى هذا الأمرِ ، وبديعٌ فيه . إذا كان فيه أوَّلَ . ومِن البِدْعِ قولُ عَدِىِّ بنِ زيدٍ[1] :

/ فَلا أنا بِدْعٌ مِن حَوادثَ تَعْتَرِى رِجالًا عَرَتْ مِن بَعْدِ بُؤْسَى وأسْعُدِ ٦/٢٦

ومِن البديعِ قولُ الأحوصِ[2] :

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقلتُ انظُرِينى لـيـس جَـهْـلٌ أتَـيـتِـه بـبَـديـعِ

يعنى بأوَّلَ . يقالُ : هو بِدْعٌ مِن قومٍ أبداعٍ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . يقولُ : لستُ بأوَّلِ الرسلِ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يزيد » . والبيت فى تفسير القرطبى ١٦/ ١٨٥ .

(٢) شعر الأحوص الأنصارى ص ١٥٧ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٣١١ - من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٨ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : يقولُ : ما كنتُ أولَ رسولٍ أُرسِل .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : ما كنتُ أوَّلَهم (١) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ بنُ معاويةَ ، عن أبى هُبَيرةَ ، قال : سألتُ قتادةَ : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : أى : قد كانت قبلى رسلٌ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . يقولُ : أى : إن الرسلَ قد كانت قبلى .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : قد كانت قبلَه رُسُلٌ (٢) .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ . **اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِه ؛ فقال بعضُهم** : عَنَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ . وقيل له : قُلْ للمؤمنين بك : ما أدْرِى ما يُفْعَلُ بى ولا بكم يومَ القيامةِ ، وإلى ما نصيرُ هنالك . قالوا : ثم بَيَّنَ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ وللمؤمنين به حالَهم فى الآخرةِ ، فقيل له : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١ ، ٢] . وقال : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [الفتح : ٥] . ٧/٢٦

(١) تفسير مجاهد ص ٦٠٢ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٦ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٥/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٦ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عليٌّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ : فأنزَل اللَّهُ بعدَ هذا : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (١) .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، عن الحسينِ ، عن يزيدَ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصريِّ ، قالا : قال فى « حمَ الأحقاف » : ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ . فنسخَتها الآيةُ التى فى سورةِ « الفتحِ » : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ الآيةَ [الفتح : ١، ٢] . فخرَج نبىُّ اللَّهِ ﷺ حينَ نزَلت هذه الآيةُ ، فبَشَّرهم بأنه غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبِه وما تأخَّر ، فقال له رجالٌ مِن المؤمنين : هَنيئًا لك يا نبىَّ اللَّهِ ، قد عَلِمنا ما يُفعَلُ بك ، فماذا يُفعَلُ بِنا ؟ فأنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فى سورةِ « الأحزابِ » ، فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . وقال : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية [الفتح : ٥، ٦] . فبَيَّن اللَّهُ ما يَفْعَلُ به وبهم (٢) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ : ثم دَرَى أو علِم مِن اللَّهِ - ﷺ - بعدَ ذلك ما يُفْعَلُ به ؛ يقولُ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمَآ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٨ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٨ إلى المصنف .

أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ . قال : قد بُيِّنَ له أنه قد غُفِر مِن ذنبِه ما تقدَّم وما تأخَّر (١) .

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه عليه الصلاةُ والسلامُ أن يقولَه للمشركين مِن قومِه ، ويعلمَ أنه لا يَدْرِى إلامَ يصيرُ أمرُه وأمرُهم فى الدنيا ؛ أيصيرُ أمرُه معهم أن يقتُلوه أو يُخرِجوه مِن بينِهم ، أو يؤمِنوا به فيَتَّبِعوه ، وأمرُهم إلى الهلاكِ كما أُهلِكت الأممُ [٢/٨١٣و] المُكذِّبةُ رُسُلَها مِن قبلِهم ، أو إلى التصديقِ له فيما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الهُذَلىُّ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ . فقال : أمَّا فى الآخرةِ فمعاذَ اللَّهِ ، قد علِم أنه فى الجنةِ حينَ أُخِذ ميثاقُه فى الرسلِ ، ولكن قال : ما أدْرِى ما يُفعلُ بى ولا بكم فى الدنيا ؛ أُخْرَجُ كما أُخرِجت الأنبياءُ قَبْلى ، أو أُقْتَلُ ٨/٢٦
كما / قُتِلت الأنبياءُ مِن قَبْلى ، ولا أدْرِى ما يُفْعَلُ بكم ؛ أُمَّتى المُكذِّبةُ أم أُمَّتى المُصدِّقةُ ، أم أُمَّتى المَرْمِيَّةُ بالحجارةِ مِن السماءِ قَذْفًا ، أم مخسوفٌ بها خَسْفًا ، ثم أُوحى إليه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . يقولُ : أحَطْتُ لك بالعربِ ألا يقتُلوك . فعرَف أنه لا يُقْتَلُ ، ثم أنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح : ٢٨] . يقولُ : أشهَدَ لك على نفسِه أنه سيُظْهِرُ دينَك على الأديانِ ، ثم قال له فى أمتِه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢١٥، ٢١٦ عن معمر به .

﴿ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٣] . فأخبَره اللَّهُ ما يصنَعُ به وما يصنَعُ بأمتِه[(١)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما أدْرِى ما يُفْتَرَضُ علىَّ وعليكم ، أو ينزِلُ مِن حكمٍ . وليس يعنى : ما أدْرِى ما يُفعلُ بى ولا بكم غدًا فى المعادِ ، مِن ثوابِ اللَّهِ مَن أطاعَه ، وعقابِه مَن كَذَّبه .

وقال آخرون : إنما أُمِر أن يقولَ هذا فى أمرٍ كان ينتظرُه من قِبَلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى غيرِ الثوابِ والعقابِ .

وأَولى الأقوالِ فى ذلك بالصحةِ وأشْبَهُها بما دلَّ عليه التنزيلُ ، القولُ الذى قاله الحسنُ البصرىُّ ، الذى رَواه عنه أبو بكرٍ الهُذَلىُّ .

وإنما قلنا : ذلك أَوْلاها بالصوابِ ؛ لأن الخطابَ مِن مبتدأِ هذه السورةِ إلى هذه الآيةِ ، والخبرَ ، خرَج مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ خطابًا للمشركين ، وخبرًا عنهم ، وتوبيخًا لهم ، واحْتجاجًا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن هذه الآيةَ أيضًا سبيلُها سبيلُ ما قبلَها وما بعدَها ، فى أنها احْتِجاجٌ عليهم وتوبيخٌ لهم ، أو خبرٌ عنهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فمحالٌ أن يقالَ للنبىِّ ﷺ : قُلْ للمشركين : ما أدْرِى ما يُفْعَلُ بى ولا بكم فى الآخرةِ . وآياتُ كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى تنزيلِه ووحيِه إليه مُتَتابِعةٌ ، بأن المشركين فى النارِ مُخَلَّدون ، والمؤمنون به فى الجِنانِ مُنَعَّمون ، وبذلك يُرَهِّبُهم مَرَّةً ، ويُرَغِّبُهم أخرى ، ولو قال لهم ذلك ، لقالوا له : فعلامَ نَتَّبِعُك إذن وأنت لا تَدْرِى إلى أىِّ حالٍ تصيرُ غدًا فى القيامةِ ؛ إلى خَفْضٍ

---

(١) أخرجه النحاس فى ناسخه ص٦٦٥ من طريق أبى بكر الهذلى به مختصرًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٦ إلى المصنف بطوله .

ودَعَةٍ ، أم إلى شِدَّةٍ وعذابٍ ، وإنما اتِّباعُنا إياك إن اتَّبَعْناك ، وتَصْديقُنا بما تَدْعونا إليه ، رغبةً فى نِعْمةٍ وكرامةٍ نصيبُها ، أو رهبةً مِن عقوبةٍ وعذابٍ نهرُبُ منه . ولكن ذلك كما قال الحسنُ : ثم بَيَّنَ اللَّهُ لنبيِّه ﷺ ما هو فاعلٌ به ، وبمَن كذَّب بما جاء به مِن قومِه وغيرِهم .

وقولُه : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ . يقولُ تعالى ذكره : قُلْ لهم : ما أتَّبِعُ[1] فيما آمُرُكم به وفيما أفعلُه مِن فعلٍ ، إلا وحىَ اللَّهِ الذى يُوحِيه إلىَّ ، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ . يقولُ : وما أنا لكم إلا نذيرٌ ، أنذرُكم عقابَ اللَّهِ على كفرِكم به ، ﴿ مُّبِينٌ ﴾ . يقولُ : قد أبانَ لكم إنذارَه ، وأظهرَ لكم دعاءَه إلى ما فيه نصيحتُكم . يقولُ : فكذلك أنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

٩/٢٦ / يقولُ تعالى ذكرُه : قُلْ يا محمدُ لهؤلاء المُشركين القائلين لهذا القرآنِ لمَّا جاءهم : هذا سحرٌ مُبينٌ : ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أيُّها القومُ ، ﴿ إِن كَانَ ﴾ هذا القرآنُ ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أنزَله علىَّ ﴿ وَكَفَرْتُم ﴾ أنتم ﴿ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : وكذَّبتم أنتم به .

وقولُه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . **اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم :** معناه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ : وهو موسى بنُ عمرانَ عليه السلامُ ﴿ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . يعنى : على مثلِ القرآنِ . قالوا : ومِثْلُ القرآنِ الذى شهِد عليه موسى بالتَّصْديقِ التوراةُ .

---

(١) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلا ما يوحى إلى » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن مسروقٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . فخاصَم به الذين كفَروا مِن أهلِ مكةَ ، ﴿ مِثْلِهِۦ ﴾[1] : التوراةُ مثلُ القرآنِ ، وموسى مثلُ محمدٍ [٨١٣/٢ظ] صلَّى اللهُ عليهما وسلَّم .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : سُئِل داودُ عن قولِه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ الآية . قال داودُ : قال عامرٌ : قال مسروقٌ : واللَّهِ ما نزَلت فى عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، ما نزَلت إلا بمكةَ ، وما أسلَم عبدُ اللَّهِ إلا بالمدينةِ ، ولكنها خصومةٌ خاصَم محمدٌ ﷺ بها قومَه ، قال : فنزَلت : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . قال : فالتوراةُ مثلُ القرآنِ ، وموسى مثلُ محمدٍ عليهما السلامُ ، فآمَنوا بالتوراةِ وبرسولِهم ، وكفَرتُم[2] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمعتُ داودَ بنَ أبى هندٍ ، عن الشعبىِّ ، قال : أناسٌ يزعُمون أن شاهدًا مِن بنى إسرائيلَ على مثلِه ، عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ ، وإنما أسلَم عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ بالمدينةِ ، وقد أخبَرنى مسروقٌ أن « آل حم » إنما نزَلت بمكةَ ، وإنما كانت مُحاجَّةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قومَه ، فقال : ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى القرآنَ ، ﴿ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . فآمَن موسى ومحمدٌ عليهما السلامُ على الفرقانِ .

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن داودَ ، عن الشعبىِّ ، قال : إن

---

(١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/٦ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

ناسًا يزعُمون أن الشاهدَ على مثلِه عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، وأنا أعلمُ بذلك ، وإنما أسلَم عبدُ اللَّهِ بالمدينةِ ، وقد أخبَرنى مسروقٌ أن « آل حم » إنما نزَلت بمكةَ ، وإنما كانت مُحاجَّةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لقومِه ، فقال : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى الفرقانَ ، ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . فمثلُ التوراةِ الفرقانُ ؛ التوراةُ شهِد عليها موسى ، ومحمدٌ على الفرقانِ ، صلَّى اللهُ عليهما وسلَّم .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيةَ ، قال : أخبَرنا داودُ ، عن الشعبىِّ ، عن مَسْروقٍ فى قولِه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : كان إسلامُ ابنِ سلَامٍ بالمدينةِ ، ونزَلت هذه السورةُ بمكةَ ، إنما كانت خصومةً بينَ محمدٍ عليه السلامُ وبينَ قومِه ، فقال : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ / ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ ١٠/٢٦
شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . قال : التوراةُ مثلُ الفرقانِ ، وموسى مثلُ محمدٍ ، فآمَن به واستكبَرتُم ، ثم قال : آمَن هذا الذى مِن بنى إسرائيلَ بنبيِّه وكتابِه ، واستكبَرتُم أنتم ، فكَذَّبتُم أنتم نبيَّكم وكتابَكم ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ إلى قولِه : ﴿ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[1] .

وقال آخرون : عنَى بقولِه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ . قالوا : ومعنى الكلامِ : وشهِد شاهدٌ مِن بنى إسرائيلَ على مثلِ هذا القرآنِ بالتَّصْديقِ . قالوا : ومثلُ القرآنِ التوراةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ التِّنِّيسِىُّ ، قال : سمِعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يحدِّثُ عن أبى النَّضْرِ ، عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، عن أبيه ، قال : ما سمِعتُ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٠ إلى المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر مختصرا .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأحدٍ يَمْشِي على الأرضِ إنه مِن أهلِ الجنةِ ، إلا لعبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ . قال : وفيه نزَلت : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾[١] .

حدَّثنا الحسينُ بنُ عليٍّ الصُّدَائيُّ ، قال : ثنا أبو داودَ الطيالسيُّ ، قال : ثنا شعيبُ ابنُ صَفْوانَ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُمَيرٍ ، أن محمدَ بنَ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ سلام : أُنزل فيَّ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾[٢] .

حدَّثني عليُّ بنُ سعيدِ بنِ مَسْروقٍ الكِنْديُّ ، قال : ثنا أبو المُحَيَّاةِ[٣] يحيى بنُ يَعْلَى ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ ، عن ابنِ أخي عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ : نزلَت فيَّ : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : كان

---

(١) أخرجه البخارى (٣٨١٢) ، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٢٧٩، وابن منده فى الإيمان (٢٦٩) ، وابن حبان (٧١٦٣) ، والخطيب فى المدرج ١/ ٣٧٨، والبغوى فى شرح السنة (٣٩٩٠) ، وفى تفسيره ٧/ ٢٥٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١١٧، ١١٨، من طريق عبد الله بن يوسف به ، وأخرجه أحمد ٣/ ٥٩، ١١٥ (١٤٥٣، ١٥٣٣) ، ومسلم (٢٤٨٣) ، والنسائى فى الكبرى (٨٢٥٢) ، وابن منده فى الإيمان (٢٦٩) ، وأبو زرعة فى تاريخه (١٩٢١) ، والبزار (١٠٩٣، ١٠٩٤) ، وأبو يعلى (٧٦٧، ٧٧٦) ، وابن حبان (٧١٦٣) ، والخطيب فى المدرج ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١- ٣٨٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١١٥- ١١٨ من طريق مالك به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٩ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ٢٣١ من طريق الطيالسى به عن شعيب بن صفوان عن عبد الملك ابن عتبة به .

(٣) فى ص : « المحماه » ، وفى م : « محمد » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨، ٤٩.

(٤) أخرجه الترمذى (٣٢٥٦، ٣٨٠٣) عن على بن سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٩ إلى ابن مردويه .

رجلٌ مِن أهلِ الكتابِ آمَن بمحمدٍ ﷺ ، فقال : إنا نجِدُه فى التوراةِ . وكان أفضلَ رجلٍ منهم ، وأعلمَهم بالكتابِ ، فخاصَمَتِ [٢/٨١٤و] اليهودُ النبىَّ ﷺ ، فقال : « أترْضَون أن يَحْكُمَ بينى وبينَكم عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، أتُؤْمِنون ؟ » . قالوا : نعم . فأرسَل إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ ، فقال : « أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ مَكْتوبًا فى التوراةِ والإنجيلِ ؟ » . قال : نعم . فأعرَضت اليهودُ ، وأسلَم عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، فهو الذى قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . يقولُ : فآمَن عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . قال : عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الآية : كنا نُحَدَّثُ أنه عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، آمَن بكتابِ اللَّهِ وبرسولِه وبالإسلامِ ، وكان مِن أحبارِ اليهودِ .

١١/٢٦ / **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . قال : هو عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ[(٣)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم وابن مردويه مختصرا .

(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٢ ، وأخرجه ابن سعد ٢/ ٣٥٣ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١٣٠ ، ١٣١ من طرق عن مجاهد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٥ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/١٣٠ من طريق معمر به .

حُدِّثْتُ عن الحسين ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبرنا عُبَيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ : الشاهدُ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، وكان مِن الأحبارِ مِن عُلماءِ بنى إسرائيلَ . بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليهودِ فأتَوه ، فسأَلهم فقال : « أتَعْلَمون أنى رسولُ اللَّهِ ، تَجِدوننى مَكْتوبًا عندَكم فى التوراةِ ؟ » . قالوا : لا نعلَمُ ما تقولُ ، وإنا بما جئتَ به كافرون . فقال : « أىُّ رجلٍ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ عندَكم ؟ » . قالوا : عالِمُنا وخَيرُنا . قال : « أتَرْضَون به بينى وبينَكم ؟ » . قالوا : نعم . فأرسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ ، فجاءه فقال : « ما شهادتُك يا بنَ سَلامٍ ؟ » . قال : أشهدُ أنك رسولُ اللَّهِ ، وأن كتابَك جاء مِن عندِ اللَّهِ . فآمَن وكفَروا ، يقولُ اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ ، قال : بلَغَنى أنه لمَّا أرادَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ أن يُسْلِمَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد عَلِمَتِ اليهودُ أنى مِن عُلمائِهم ، وأن أبى كان مِن عُلمائِهم ، وإنى أشهدُ أنك رسولُ اللَّهِ ، وأنهم يَجِدونك مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، فأرسِلْ إلى فلانٍ وفلانٍ - ومَن سمَّاه مِن اليهودِ - وأخبِئْنى [2] فى بيتِك ، وسَلْهم عنِّى وعن أبى ، فإنهم سيُحَدِّثونك أنى أعلمُهم وأن أبى مِن أعلمِهم ، وإنى سأخرجُ إليهم ، فأشهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ ، وأنهم يَجِدونك مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، وأنك بُعِثتَ بالهُدى ودينِ الحقِّ . قال : ففعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فخَبَّأه فى بيتِه وأرسَل إلى اليهودِ فدخَلوا عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ فيكم؟ » . قالوا : أعْلَمُنا نفسًا ، وأعْلَمُنا أبًا . فقال

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/٤١٤ من طريق أبى معاذ به مختصرًا ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١١٣، ١٣٠ من طريق جويبر ، عن الضحاك ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٩ إلى عبد حميد .

(٢) فى ت ٢: « وأحبارهم » ، وفى ت ٣: « وأحباهم » .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أرَأيتُم إن أسْلَمَ تُسْلِمون ؟ » . قالوا : لا يُسْلِمُ[(١)] . ثلاثَ مِرارٍ ، فدَعاه فخرَج ، ثم قال : أشهدُ أنك رسولُ اللَّهِ ، وأنهم يَجِدونك مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، وأنك بُعِثتَ بالهُدى ودينِ الحقِّ . فقالت اليهودُ : ما كُنَّا نَخْشاك على هذا يا عبدَ اللَّهِ بنَ سَلامٍ ! قال : فخرَجوا كفارًا ، فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فى ذلك : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ الآية[(٢)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . قال : هذا عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، شهِد أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وكتابَه حَقٌّ ، وهو فى التوراةِ حَقٌّ ، فآمَن واستكبَرْتُم[(٣)] .

حدَّثنى أبو شُرَحبيلَ الحِمْصِىُّ ، قال : ثنا أبو المغيرةِ ، قال : ثنا صفوانُ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ ، عن أبيه ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجَعىِّ ، قال : انطلَق النبىُّ ﷺ وأنا معه ، حتى دخَلنا كنيسةَ اليهودِ بالمدينةِ يومَ عيدٍ لهم ، فكَرِهوا دخولَنا عليهم ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ اليهودِ ، أَرُونى اثْنَى عشَرَ رجلًا يَشْهَدون أنه لا إلهَ إلا هو وأن محمدًا رسولُ / اللَّهِ ، يُحْبِطُ اللَّهُ عن كلِّ يَهُودىٍّ تحتَ ١٢/٢٦
أَديمِ السماءِ الغضبَ الذى غَضِبَ عليه » . قال : فأُسْكِتوا ، فما أجابَه منهم أحدٌ ، ثم ثَلَّث فلم يُجِبْه أحدٌ ، فانصرَف وأنا معه ، حتى إذا كِدْنا أن نخرجَ ، نادَى رجلٌ مِن خَلْفِنا : كما أنت يا محمدُ . قال : فأقبَل ، فقال ذلك الرجلُ : أىَّ رجلٍ تَعْلَمُونى

---

(١) فى ت ٢، ت ٣: « نسلم » .

(٢) أخرجه ابن سعد - كما فى الدر المنثور ٦/ ٣٩- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١١٤- والحارث بن أبى أسامة (١٠٣١- بغية الباحث) من طريق عوف به ، وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٦٢.

فيكم يا معشرَ اليهودِ ؟ قالوا : واللَّهِ ما نعلمُ أنه كان فينا رجلٌ [٢/٨١٤ظ] أعلمُ بكتابِ اللَّهِ ولا أفقهُ منك ، ولا مِن أبيك ، ولا مِن جَدِّك قبلَ أبيك . قال : فإنى أشهدُ باللَّهِ أنه النبيُّ الذى تَجِدونه فى التوراةِ والإنجيلِ . قالوا : كذبتَ . ثم رَدُّوا عليه قولَه وقالوا له شرًّا ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَبْتُم لن يُقبلَ قولُكم ، أمَّا آنِفًا فتُثْنُون عليه مِن الخيرِ ما أثْنَيتُم ، وأمَّا إذ آمَن كَذَّبتُموه ، وقلتُم ما قلتُم ، فلن يُقبلَ قولُكم » . قال : فخَرَجنا ونحن ثلاثةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأنا ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، فأنزَل اللَّهُ فيه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن الذى قاله مسروقٌ فى تأويلِ ذلك أشبهُ بظاهرِ التنزيلِ ؛ لأن قولَه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . فى سياقِ توبيخِ اللَّهِ تعالى ذكرُه مُشركى قريشٍ ، واحتجاجًا عليهم لنبيِّه ﷺ .

وهذه الآيةُ نظيرةُ سائرِ الآياتِ قبلَها ، ولم يَجْرِ لأهلِ الكتابِ ولا لليهودِ قبلَ ذلك ذكرٌ فتُوجَّهَ هذه الآيةُ إلى أنها فيهم نزلَت ، ولا دَلَّ على انصرافِ الكلامِ عن قَصَصِ الذين تقدَّم الخبرُ عنهم معنًى ، غيرَ أن الأخبارَ قد وَرَدَت عن جماعةٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بأن ذلك عُنِى به عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، وعليه أكثرُ أهلِ التأويلِ ، وهم كانوا أعلمَ بمعانى القرآنِ ، والسببِ الذى فيه نزَل ، وما أُريدَ به ، فتأويلُ الكلامِ إذ كان ذلك كذلك : وشهِد عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، وهو الشاهدُ مِن بنى إسرائيلَ ، ﴿ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . يعنى : على مثلِ القرآنِ ، وهو التوراةُ ، وذلك شهادتُه أن

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٢٥ (الميمنية) ، وأبو يعلى فى مسنده - كما فى الإتحاف بذيل المطالب العالية (٥٣٩٩) - وابن حبان (٧١٦٢) ، والطبرانى ١٨/٤٦ (٨٣) ، والحاكم ٣/ ٤١٥ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/١١٢ من طريق أبى المغيرة به .

محمدًا مكتوبٌ فى التوراةِ أنه نبىٌّ ، تَجِدُه اليهودُ مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، كما هو مكتوبٌ فى القرآنِ أنه نبىٌّ .

وقولُه : ﴿ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . يقولُ : فآمَن عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ ، وصدَّق بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، واسْتَكْبَرتُم أنتم على الإيمانِ بما آمَن به عبدُ اللَّهِ ابنُ سَلامٍ معشرَ اليهودِ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : إن اللَّهَ لا يوفِّقُ لإصابةِ الحقِّ ، وهَدْيِ الطريقِ المستقيمِ ، القومَ الكافرين الذين ظلَموا أنفسَهم بإيجابِهم لها سَخَطَ اللَّهِ بكفرِهم به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وقال الذين جَحَدوا نبوةَ محمدٍ ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، للذين آمَنوا به : لو كان تَصْديقُكم محمدًا على ما جاءكم به خيرًا ، ما سبَقتُمونا إلى التصديقِ به . وهذا التأويلُ على مذهبِ / مَن تأوَّل قولَه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . أنه معنىٌّ به عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ . فأما على تأويلِ مَن تأوَّل أنه عُنى به مُشركو قريشٍ ، فإنه ينبغى أن يوجَّهَ تأويلُ قولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ . أنه عُنِى به مُشركو قريشٍ ، وكذلك كان يتأوَّلُه قتادةُ ، وفى تأويلِه إيَّاه كذلك تركٌ منه تأويلَه قولَه : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . أنه معنىٌّ به عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ . ١٣/٢٦

ذكرُ الروايةِ عنه بذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ . قال : قال ذاك أناسٌ مِن

المشركين ؛ نحن أعزُّ ، ونحن ونحن ، فلو كان خيرًا ما سبَقَنا إليه فلانٌ وفلانٌ . فإن اللَّهَ يختصُّ برحمتِه مَن يشاءُ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ . قال : قد قال ذلك قائلون مِن الناسِ ، كانوا أعزَّ منهم فى الجاهليةِ ، قالوا : واللَّهِ لو كان هذا خيرًا ما سبَقَنا إليه بنو فلانٍ وبنو فلانٍ . ويختصُّ اللَّهُ برحمتِه مَن يشاءُ ، ويُكرِمُ اللَّهُ برحمتِه مَن يشاءُ ، تبارك وتعالى .

وقولُه : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وإذ لم يَبْصُروا بمحمدٍ وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ مِن الهُدَى ، فيَرْشُدوا به الطريقَ المستقيمَ ، ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ . يقولُ : فسيقولون : هذا القرآنُ الذى جاء به محمدٌ ﷺ أكاذيبُ مِن أخبارِ الأوَّلين قديمةٌ . كما قال جلَّ ثناؤُه مخبرًا عنهم : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] .

[٨١٥/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن قبلِ هذا الكتابِ ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ ، وهو التوراةُ ، ﴿ إِمَامًا ﴾ لبنى إسرائيلَ ، يأتَمُّون[2] به ، ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لهم أنزَلناه عليهم . وخَرَج الكلامُ مَخْرجَ الخبرِ عن الكتابِ بغيرِ ذكرِ تمامِ الخبرِ ، اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ على تمامِه ، وتمامُه : ومِنْ قَبلِه كِتابُ مُوسَى إمامًا ورَحْمةً أنزَلناه عليه ، وهذا كتابٌ أنزَلناه لسانًا عربيًّا .

اختَلف فى تأويلِ ذلك وفى المعنى الناصبِ ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ أهلُ العربيةِ ؛

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٦/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٦ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « يأتمرون » .

فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : نُصِب « اللسانُ » و « العربيُّ » لأنه مِن صفةِ « الكتابِ » ، فانتَصَب على الحالِ ، أو على فعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أعنى لسانًا عربيًّا . قال : وقال بعضُهم : على : ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ . جعَل الكتابَ مُصَدِّقَ اللسانِ . فعلى قولِ مَن جعَل اللسانَ نصبًا على الحالِ ، وجعَله مِن صفةِ الكتابِ ، ينبغى أن يكونَ تأويلُ الكلامِ : وهذا كتابٌ بلسانٍ عربيٍّ ، / مُصَدِّقُ التوراةِ كتابِ موسى ، بأن محمدًا للَّهِ رسولٌ ، ١٤/٢٦
وأن ما جاء به مِن عندِ اللَّهِ حقٌّ . وأما القولُ الثانى الذى حكَيناه عن بعضِهم أنه جعَل الناصبَ للسانِ ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ ، فقولٌ لا معنى له ؛ لأن ذلك يصيرُ إذا يُؤَوَّلُ كذلك ، إلى أن الذى يصدِّقُ القرآنُ نفسُه ، ولا معنى لأن يُقالَ : وهذا كتابٌ يُصَدِّقُ نفسَه . لأن اللسانَ العربىَّ هو هذا الكتابُ ، إلا أن يُجعلَ اللسانُ العربىُّ محمدًا عليه السلام ، ويُوجَّهَ تأويلُه إلى : وهذا كتابٌ ، وهو القرآنُ ، يصدِّقُ محمدًا ، وهو اللسانُ العربىُّ . فيكونُ ذلك وجهًا مِن التأويلِ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : قولُه : ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ . مِن نعتِ « الكتابِ » ، وإنما نُصب لأنه أُريدَ به : وهذا كتابٌ يُصدِّقُ التوراةَ والإنجيلَ لسانًا عربيًّا . فخَرج ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ مِن « يُصَدِّقُ » ؛ لأنه فعلٌ ، كما تقولُ : مَرَرْتُ برجلٍ يقومُ مُحْسِنًا ، ومررتُ برجلٍ قائمٍ مُحْسِنًا . قال : ولو رُفِع « لسانٌ عربىٌّ » ، جاز على النعتِ لـ « الكتابِ » .

وقد ذُكِر أن ذلك فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ لِما بينَ يدَيه لسانًا عربيًّا)[1] فعلى هذه القراءةِ يتوجَّهُ النصبُ فى قولِه : ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ مِن **وجهين ؛ أحدُهما** ، على ما بيَّنتُ مِن أن يكونَ اللسانُ خارجًا مِن قولِه : ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ . **والآخرُ** ، أن يكونَ قطعًا مِن « الهاءِ » التى فى (بينَ يدَيه) .

(١) والقراءة شاذة ، ينظر معانى القرآن للفراء ٣/ ٥١.

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن يكونَ منصوبًا على أنه حالٌ مما فى ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ مِن ذكرِ الكتابِ ؛ لأن قولَه : ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ فعلٌ ، فتأويلُ الكلامِ إذ كان ذلك كذلك : وهذا القرآنُ يُصَدِّقُ كتابَ موسى بأن محمدًا نبىٌّ مرسَلٌ ، لسانًا عربيًّا .

وقولُه : ﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ . يقولُ : لينذِرَ هذا الكتابُ الذى أنزَلناه إلى محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، الذين ظلَموا أنفسَهم بكفرِهم باللَّهِ ، بعبادتِهم غيرَه .

وقولُه : ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ . يقولُ : وهو بُشْرَى للذين أطاعُوا اللَّهَ ، فأحسَنوا فى إيمانِهم وطاعتِهم إيَّاه فى الدنيا ، فحَسُن الجزاءُ مِن اللَّهِ لهم فى الآخرةِ على طاعتِهم إياه .

وفى قولِه : ﴿ وَبُشْرَىٰ ﴾ **وجهان** مِن الإعرابِ ؛ **الرفعُ** على العطفِ على الكتابِ بمعنى : وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ وبُشْرَى للمُحْسِنين . والنصبُ على معنى : ليُنْذِرَ الذين ظلَموا ويُبَشِّرَ . فإذا جُعِل مكانَ « يُبَشِّرَ » « وبُشْرَى » أو « وبشارةً » نُصبَتْ ، كما تقولُ : أَتَيتُك لأَزُورَك وكرامةً لك وقضاءً لحقِّك . بمعنى : لأَزُورَك وأُكرِمَك وأقضىَ حقَّك . فتُنصَبُ الكرامةُ والقضاءُ بمعنًى مضمرٍ .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ : ﴿ لِّيُنذِرَ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الحجازِ : (لِتُنْذِرَ) بالتاءِ ، بمعنى : لتنذرَ أنت يا محمدُ . وقرَأته عامةُ قرأةِ العراقِ بالياءِ ؛ بمعنى : ليُنذرَ الكتابُ[1] . وبأىِّ القراءتَين قرَأ ذلك القارئُ فمُصيبٌ .

---

(١) قراءة التاء قرأ بها نافع وابن كثير – فى رواية البزى – وابن عامر ، وقراءة الياء قرأ بها ابن كثير – فى رواية قنبل – وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦، والتيسير ص ١٦١.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذين قالوا : ربُّنا اللهُ الذى لا إلهَ غيرُه ، ثم اسْتَقاموا على تصديقِهم / بذلك ، فلم يَخْلِطوه بشِركٍ ، ولم يخالِفوا اللَّهَ فى أمرِه ونَهْيِه : فلا خوفٌ ١٥/٢٦
عليهم مِن فزعِ يومِ القيامةِ وأهوالِه ، ولا هم يَحْزنون على ما خَلَّفوا وراءَهم بعدَ مماتِهم .

وقولُه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هؤلاء الذين قالوا هذا القولَ واسْتَقاموا ، أهلُ الجنةِ [٢/٨١٥ظ] وسكَّانُها ، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يقولُ : ماكِثين فيها أبدًا ، ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : ثوابًا مِنَّا لهم ، آتيناهم ذلك على أعمالِهم الصالحةِ التى كانوا فى الدنيا يعمَلونها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا[1] حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ووصَّينا ابنَ آدمَ بوالدَيه الحُسْنَ فى صُحْبتِه إياهما أيامَ حياتِهما ، والبِرَّ بهما فى حياتِهما ، وبعدَ مماتِهما .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : (حُسْنًا) ؛ فقرأَته عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ (حُسْنًا) بضَمِّ الحاءِ[2] ، على التأويلِ الذى وصفتُ .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حسنًا » . وهما قراءتان .

(٢) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦ .

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ بالألفِ[١] ، بمعنى : ووصَّيناه بالإحسانِ إليهما . وبأىِّ ذلك قرأ القارئُ فمصيبٌ ؛ لتقاربِ معانى ذلك ، واستفاضةِ القراءةِ بكلٍّ واحدةٍ منهما فى القرأةِ .

وقولُه : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ووَصَّينا الإنسانَ بوالدَيه إحْسانًا بِرًّا بهما ؛ لِما كان منهما إليه حَمْلًا ووليدًا وناشِئًا . ثم وصَف جل ثناؤُه ما لدَيه مِن نعمةِ أمِّه ، وما لاقَت منه فى حالِ حملِه ووضعِه ، ونَبَّهَه على الواجبِ لها عليه مِن البرِّ ، واستحقاقِها عليه مِن الكرامةِ ، وجميلِ الصُّحْبةِ ، فقال : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ ﴾ . يعنى فى بطنِها ، ﴿ كُرْهًا ﴾ . يعنى : مشقةً ، ﴿ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . يقولُ : وولَدته كُرْهًا . يعنى : مشقةً .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . يقولُ : حمَلَته مشقةً ، ووضَعَته مشقةً .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ والحسنِ فى قولِه : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . قالا : حمَلَته فى مشقةٍ ، ووضَعَته فى مشقةٍ[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ . قال : مشقةً عليها[٣] .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ كُرْهًا ﴾ ؛ فقرأَته / عامةُ قرأةِ المدينةِ ١٦/٢٦

---

(١) وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٦/٢ عن معمر به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٦٠٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

والبصرةِ : (كَرْهًا) بفتحِ الكافِ . وقرأته عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ كُرْهًا ﴾ بضَمِّها[١] . وقد بيَّنتُ اختلافَ المُختلِفين فى ذلك قبلُ إذا فُتح وإذا ضُمَّ ، فى سورةِ « البقرةِ » ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[٢] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، مُتقاربتا المعنى ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمُصيبٌ .

وقولُه : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وحَمْلُ أمِّه إيَّاه جَنينًا فى بطنِها ، وفِصالُها إيَّاه مِن الرَّضاعِ وفَطْمُها إيَّاه شربَ اللبنِ ، ثلاثون شهرًا .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الأمصارِ غيرَ الحسنِ البصرىِّ : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ﴾ . بمعنى : فاصَلَتْه أمُّه فِصالًا ومُفاصلةً . وذُكر عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يقرؤُه : (وحَمْلُهُ وفَصْلُهُ) بفتحِ الفاءِ بغيرِ ألفٍ[٣] ، بمعنى : وفَصْلُ أمِّه إيَّاه .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا ما عليه قرأةُ الأمصارِ ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليه ، وشُذُوذِ ما خالَفه .

وقولُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . **اختلَف أهلُ التأويلِ** فى مبلغِ حدِّ ذلك مِن السنينَ ؛ **فقال بعضُهم** : هو ثلاثٌ وثلاثون سنةً .

---

(١) قرأ بفتح الكاف كل من ابن كثير ونافع وأبى عمرو ، وقرأ بضمها كل من عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦.

(٢) تقدم فى ٣/ ٦٤٦.

(٣) هى قراءة يعقوب ، وهو من العشرة . ينظر النشر ٢/ ٢٧٩، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٢، وينظر البحر المحيط ٨/ ٦١.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أَشُدُّه : ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، واسْتِواؤُه : أربعون سنةً ، والعمرُ الذى أعذَر اللَّهُ فيه إلى ابنِ آدمَ : ستون[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . قال : ثلاثًا وثلاثين[(٢)] .

وقال آخرون : هو بلوغُ الحُلُمِ .

[٨١٦/٢و] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا مُجالدٌ ، عن الشعبىِّ ، قال : الأَشُدُّ : الحُلُمُ ، إذا كُتبتْ له الحسناتُ ، وكُتبتْ عليه السيئاتُ[(٣)] .

وقد بَيَّنا فيما مضَى الأَشُدَّ جمعَ شَدٍّ ، وأنه تَناهِى قُوَّتِه واسْتوائِه[(٤)] . وإذا كان ذلك كذلك ، كان الثلاثُ والثلاثون به أشبهَ مِن الحُلُمِ ؛ لأن المرءَ لا يبلغُ فى حالِ حُلُمِه كمالَ قُواه ونهايةَ شِدَّتِه ، فإن العربَ إذا ذكَرت مثلَ هذا مِن الكلامِ ، فعطَفَت ببعضٍ على بعضٍ ، جعَلَت كِلا الوقتَين قريبًا أحدُهما مِن صاحبِه ، كما قال جلَّ

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٣/ ٦٧، وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٢٢٤، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٩/ ٢٩٥١ من طريق ابن إدريس به ، وأخرجه ابن مردويه فى تفسيره - كما فى نصب الراية ٤/ ١٦٦ - من طريق عبد الله بن عثمان به ، بلفظ : « تسعا وثلاثين سنة » ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٦٨٢٩) من طريق عبد الله بن عثمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢١٧ عن معمر به .

(٣) تقدم فى ٩/ ٦٦٤.

(٤) تقدم فى ٩/ ٦٦٣.

ثناؤُه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ ﴾ [المزمل : ٢٠] . ولا تكادُ تقولُ : أنا أعلمُ أنك تقومُ قريبًا مِن ساعةٍ مِن الليلِ وكُلِّه . ولا : أخذتُ قليلًا مِن مالٍ أو كُلِّه . ولكن تقولُ : أخَذتُ عامةَ مالى أو كلِّه . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ . لا شكَّ أن نَسَقَ / الأربعين على الثلاثِ والثلاثين ١٧/٢٦
أحسنُ وأشبهُ ، إذ كان يُرَادُ بذلك تقريبُ أحدِهما مِن الآخرِ ، مِن النَّسَقِ على الخمسَ عشرةَ أو الثمانِ عشرةَ .

وقولُه : ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ . ذلك حينَ تكامَلَت حُجَّةُ اللَّهِ عليه ، وسَرَتْ[1] عنه جَهالةُ شبابِه ، وعَرَف الواجبَ للَّهِ مِن الحقِّ فى برِّ والدَيه .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ : وقد مضَى مِن سيئِ عملِه .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ ﴾ حتى بلَغ : ﴿ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ : وقد مضَى مِن سيئِ عملِه ما مضَى[2] .

وقولُه : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : قال هذا الإنسانُ الذى هَداه اللَّهُ لرُشْدِه ، وعرَف حقَّ اللَّهِ عليه فيما ألزَمه مِن برِّ والدَيه : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ . يقولُ : أَغْرِنى بشُكْرِ نعمتِك التى أنعمتَ علىَّ فى تعريفِك إيَّاى توحيدَك ، وهِدايتِك لى للإقرارِ بذلك ، والعملِ بطاعتِك - ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ مِن قَبْلى ، وغيرِ ذلك مِن نِعَمِك علينا ، وألهِمْنى ذلك . وأصلُه مِن : وَزَعْتُ الرجلَ على كذا . إذا دفَعْتَه عليه .

---

(١) فى م : « سير » . وسرت : زالت وانكشفت . اللسان (س ر ى) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٧ عن معمر به .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنى به يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ . قال : اجعَلْنى أشكرُ نعمتَك .

وهذا الذى قاله ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ . وإن كان يَئُولُ إليه معنى الكلمةِ ، فليس بمعنى الإيزاعِ على الصحةِ .

وقولُه : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : أوزِعْنى أن أعملَ صالحًا مِن الأعمالِ التى تَرْضاها ؛ وذلك العملُ بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ .

وقولُه : ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ . يقولُ : وأصلِحْ لى أُمُورى فى ذُرِّيتى الذين وُهِبْتُهم بأن تجعلَهم هُدَاةً للإيمانِ بك ، واتِّباعِ مَرْضاتِك ، والعملِ بطاعتِك . فوصَفه جلّ ثناؤُه بالبِرِّ بالآباءِ والأمهاتِ والبنينَ والبناتِ . وذُكر أن هذه الآيةَ نزَلت فى أبى بكرٍ الصديقِ رضِى اللَّهُ عنه[1] .

وقولُه : ﴿ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مخبرًا عن قيلِ هذا الإنسانِ : ﴿ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ . يقولُ : تُبْتُ مِن ذُنُوبى التى سَلَفَت منى فى سالفِ أيامى ، إليك ، ﴿ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ . يقولُ : وإنى من الخاضِعِين لك بالطاعةِ ، المُسْتَسْلِمين لأمرِك ونَهْيِك ، المُنْقادِين لحُكْمِك .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ[2] عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ[3] عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤١ إلى ابن مردويه عن ابن عباس ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٨٤ .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتقبل » . هما قراءتان كما سيأتى .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتجاوز » . هما قراءتان كما سيأتى .

١٨/٢٦ / يقولُ تعالى ذكرُه : هؤلاء الذين هذه الصفةُ صفتُهم ، هم الذين نَتقبَّلُ عنهم أحسنَ ما عمِلوا فى الدنيا مِن صالحاتِ الأعمالِ ، فنُجازِيهم به ، ونُثِيبُهم عليه ، ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِم ﴾ . يقولُ : ونَصفحُ لهم عن سيئاتِ أعمالِهم التى عمِلوها [٢/٨١٦ظ] فى الدنيا ، فلا نُعاقِبُهم عليها ، ﴿ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ . يقولُ : نفعلُ ذلك بهم فعلَنا مثلَ ذلك فى أصحابِ الجنةِ وأهلِها الذين هم أهلُها .

كما **حدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن الحكمِ بنِ أبانٍ ، عن الغِطْريفِ ، عن جابرِ بنِ زيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، عن الروحِ الأمينِ ، قال : « يُؤْتَى بحَسَناتِ العبدِ وسيئاتِه ، فيُقتصُّ بعضُها ببعضٍ ، فإن بَقِيَتْ حَسَنةٌ وَسَّع اللَّهُ له فى الجنةِ » . قال : فدخلتُ على يزدادَ ، فحدَّث بمثلِ هذا الحديثِ ، قال : قلتُ : فإن ذهَبَت الحسنةُ ؟ قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِم ﴾ الآية[1] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن لَيْثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : دَعا أبو بكرٍ عمرَ رضِى اللَّهُ عنهما ، فقال له : إنِّى أُوصِيك بوصيةٍ أن تحفظَها ؛ إن للَّهِ فى الليلِ حقًّا لا يقبلُه بالنهارِ ، وبالنهارِ حقًّا لا يقبلُه بالليلِ ، إنه ليس لأحدٍ نافلةٌ حتى يؤدِّىَ الفريضةَ ، إنه إنما ثَقُلت موازينُ مَن ثَقُلَت مَوازينُه يومَ القيامةِ باتباعِهم الحقَّ فى الدنيا وثِقَلِ ذلك عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضعُ فيه إلا الحقُّ أن يَثْقُلَ ، وخَفَّت موازينُ مَن خَفَّت موازينُه يومَ القيامةِ ، لاتِّباعِهم الباطلَ فى الدنيا وخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضعُ فيه إلا الباطلُ أن يَخِفَّ ؛ ألم تَرَ أن اللَّهَ ذكَر أهلَ الجنةِ بأحسنِ أعمالِهم ،

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٦٥ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٧/ ٢٦٥، ٢٦٦ - والطبرانى (١٢٨٣٢) ، والحاكم ٤/٢٥٢ من طريق المعتمر به ، وأخرجه عبد بن حميد (٦٦٠) ، والحاكم ٤/٢٥٢ من طريق الحكم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤١ إلى ابن المنذر .

فيقولُ قائلٌ : أين يبلغُ عملى مِن عملِ هؤلاء ! وذلك أن اللَّهَ عز وجل تَجاوزَ عن أسْوَأِ أعمالِهم فلم يُبْدِه ، ألم تَرَ أن اللَّهَ ذكرَ أهلَ النارِ بأسوأِ أعمالِهم ، حتى يقولَ قائلٌ : أنا خيرٌ عملًا مِن هؤلاء . وذلك بأن اللَّهَ رَدَّ عليهم أحسنَ أعمالِهم ، ألم تَرَ أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنزَل آيةَ الشِّدَّةِ عندَ آيةِ الرخاءِ ، وآيةَ الرخاءِ عندَ آيةِ الشدةِ ، ليكونَ المؤمنُ راغبًا راهبًا ؛ لئلا يُلْقِيَ بيدِه إلى التَّهْلُكةِ ، ولا يَتَمَنَّى على اللَّهِ أُمنيةً يَتَمنَّى على اللَّهِ فيها غيرَ الحقِّ[(١)] .

واختلفَت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ قرأةِ الكوفةِ : (يُتَقَبَّلُ) ، (وَيُتَجاوَزُ) بضَمِّ الياءِ منهما على ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، ورفعِ : (أحْسَنُ)[(٢)] . وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ نَتَقَبَّلُ ﴾ ، ﴿ وَنَتَجَاوَزُ ﴾ بالنونِ وفتحِها ، ونصبِ ﴿ أَحْسَنَ ﴾[(٣)] . على معنى إخبارِ اللَّهِ جل ثناؤُه عن نفسِه أنه يفعلُ ذلك بهم ، وردًّا للكلامِ على قولِه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ ، ونحن نتقبلُ منهم أحسنَ ما عمِلوا ونتجاوزُ . وهما قِراءتان مَعْروفتان صَحيحتا المعنى ، فبأيَّتِهما قَرأ القارئُ فمُصيبٌ .

وقولُه : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ . يقولُ : وعَدهم اللَّهُ هذا الوعدَ ، وَعْدَ الحقِّ ، لاشكَّ فيه أنه مُوفٍ لهم به ، الذى كانوا إياه فى الدنيا يَعِدُهم اللَّهُ تعالى .

ونُصب قولُه : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾ ؛ لأنه مصدرٌ خارجٌ مِن قولِه : ﴿ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ . وإنما أُخرج / مِن هذا الكلامِ مصدرُ : وَعَد ١٩/٢٦

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤١ إلى المصنف .

(٢) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٧ .

(٣) قرأ بها حفص عن عاصم وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

وَعْدًا ؛ لأن قولَه : ﴿ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ ﴾ ، ﴿ وَنَتَجَاوَزُ ﴾ وعدٌ مِن اللَّهِ لهم ، فقال : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾ . على ذلك المعنى .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

وهذا نَعْتٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه ، نَعْتُ ضالٍّ ؛ به كافرٌ وبوالدَيه عاقٌّ ، وهما مُجتهدان فى نصيحتِه ودُعائِه إلى اللَّهِ ، فلا يَزيدُه دعاؤُهما إياه إلى الحقِّ ونصيحتُهما له إلا عُتُوًّا وتَمَرُّدًا على اللَّهِ ، وتَمادِيًا فى جهلِه ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ ؛ أنْ دَعَواه إلى الإيمانِ باللَّهِ ، والإقرارِ ببَعْثِ اللَّهِ خلقَه مِن قُبُورِهم ، ومُجازاتِه إيَّاهم بأعمالِهم : ﴿ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ . يقولُ : قَذَرًا لكما ونَتْنًا ، ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ . يقولُ : أتَعِدانِنِى أن أُخرَجَ مِن قَبْرى مِن بعدِ فَنائى وبَلائى فيه ، حَيًّا !

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ : أن أُبعَثَ بعدَ الموتِ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ . قال : يعنى البعثَ بعدَ الموتِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : الذى قال [٢/٨١٧و] هذا ابنٌ لأبى بكرٍ رضِى اللَّهُ عنه ، قال : ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٢ إلى ابن المنذر .

﴿ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ : أتَعِدَانِنى أن أُبعثَ بعدَ الموتِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا هَوْذةُ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ . قال : هو الكافرُ الفاجرُ ، العاقُّ لوالدَيه ، المكذِّبُ بالبعثِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ثم نعَت عبدَ سُوءٍ عاقًّا لوالدَيه فاجرًا ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(٢)] .

وقولُه : ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ . يقولُ : أتَعِدانِنى أن أُبعَثَ وقد مضَت قرونٌ مِن الأممِ قَبلى فهَلَكوا ، فلم يَبْعَثْ منهم أحدًا ؟! ولو كنتُ مَبْعوثًا بعدَ وَفاتى كما تقولان ، لكان قد بُعِث مَن هلَك قَبلى مِن القرونِ . ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وَوَالِدَاه يَسْتَصْرِخان اللَّهَ عليه ويَسْتَغِيثانه عليه أن يؤمنَ باللَّهِ ويُقِرَّ بالبعثِ ، ويقولان له : ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ . أى : صدِّقْ بوعدِ اللَّهِ ، وأقِرَّ أنك مبعوثٌ مِن بعدِ وفاتِك ، إنَّ وعَد اللهِ الذى وعَد خلقَه أنه باعثُهم مِن قُبُورِهم ، ومُخْرِجُهم منها إلى موقفِ الحسابِ ، لمُجازاتِهم بأعمالِهم ، حقٌّ لاشكَّ فيه . فيقولُ عدوُّ اللَّهِ مُجِيبًا لوالدَيه ورَدًّا عليهما نصيحتَهما ، وتكذيبًا بوَعْدِ اللَّهِ : ما هذا الذى تقولان لى وتَدْعُوانى إليه ؛ مِن التصديقِ بأنى مبعوثٌ مِن بعدِ وَفَاتى مِن قَبْرى ، إلا ما سَطَره الأوَّلون مِن الناسِ مِن الأباطيلِ فكَتَبوه ، فأصَبْتُماه أنتما فصَدَّقتما . /٢٠/٢٦

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦/٢٦٦ عن العوفى به ، وقال : وفى صحة هذا نظر ، والله أعلم .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٧.

مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : هؤلاء الذين هذه الصفةُ صفتُهم ، الذين وجَب عليهم عذابُ اللَّهِ ، وحَلَّت بهم عقوبتُه وسَخَطُه ، فى من حلَّ به عذابُ اللَّهِ ، على مثلِ الذى حَلَّ بهؤلاء مِن الأممِ الذين مَضَوا قبلَهم مِن الجنِّ والإنسِ ، الذين كذَّبوا رُسُلَ اللَّهِ وعَتَوا عن أمرِ ربِّهم .

وقولُه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إنهم كانوا المَغبُونين ببَيْعِهم الهُدى بالضلالِ والنعيمَ بالعقابِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، قال : ثنا أبى ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، قال : الجنُّ لا يَموتون . قال قتادةُ : فقلتُ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ ﴾ الآية[1] .

وقولُه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولكلٍّ هؤلاء الفريقين ؛ فريقِ الإيمانِ باللَّهِ واليومِ الآخرِ والبرِّ بالوالدين ، وفريقِ الكفرِ باللَّهِ واليومِ الآخرِ وعقوقِ الوالدَين ، الذين وصَف صفتَهم ربُّنا عزَّ وجلَّ فى هذه الآياتِ - منازلُ ومراتبُ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ ، ﴿ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ . يعنى : مِن عملِهم الذى عمِلوه فى الدنيا ؛ مِن صالحٍ وحَسَنٍ وسَيِّئٍ ، يُجازِيهم اللَّهُ به .

وقد **حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ . قال : دَرَجُ أهلِ النارِ يذهبُ سَفالًا ، ودَرَجُ أهلِ الجنةِ يذهبُ عُلُوًّا .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٨٣ إلى عبد بن حميد . وينظر البحر المحيط ٨/٦٢ .

﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ . يقولُ جل ثناؤه : ولِيعطيَ جميعَهم أجورَ أعمالِهم التى عمِلوها فى الدنيا ؛ المحسنَ منهم بإحسانِه ، ما وعَد اللَّهُ مِن الكرامةِ ، والمسيءَ منهم بإساءتِه ، ما أعدَّه مِن الجزاءِ ، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : وجميعُهم لا يُظْلَمون ؛ لا يُجازَى المسيءُ منهم إلا عقوبةً على ذنبِه ، لا على ما لم يعملْ ، ولا يُحمَلُ عليه ذنبُ غيرِه ، ولا يُبْخَسُ المحسنُ منهم ثوابَ إحسانِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

/يقولُ تعالى ذكرُه : ويومَ يُعْرَضُ الذين كَفَروا باللَّهِ على النارِ ، يقالُ لهم : ٢١/٢٦
أذْهبتم طيباتِكم فى حياتِكم الدنيا واسْتَمْتعتم بها فيها ؟!

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ . قرأ يزيدُ حتى بلَغ : ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ : تعلَمون واللَّهِ إن أقوامًا يَسْترِطون[1] حسناتِهم ! فاستَبْقَى رجلٌ طيباتِه إن استطاعَ ، ولا قوةَ إلا باللَّهِ ، ذُكر أن عمرَ بنَ الخطابِ كان يقولُ : لو شئتُ كنتُ أطيبَكم طعامًا وألينَكم لِباسًا ، ولكنى أسْتَبْقِى طَيِّباتى . وذُكر لنا [٢/٨١٧ظ] أنه لمَّا قدِم الشامَ ، صُنِع له طعامٌ لم يَرَ قبلَه مثلَه ، قال : هذا لنا ! فما لفقراءِ المسلمين الذين ماتُوا وهم لا يشبَعون مِن خبزِ الشعيرِ ؟ قال خالدُ بنُ الوليدِ : لهم الجنةُ . فاغْرَوْرَقَت عينا عمرَ ، وقال : لئن كان حَظُّنا فى الحُطامِ ، وذهَبوا - قال أبو جعفرٍ : فيما أرَى أنا - بالجنةِ ، لقد بايَنونا بَوْنًا بعيدًا[2] .

---

(١) سَرَطه واسترطه : بَلَعه . التاج (س ر ط) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٧ عن معمر ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٢ إلى عبد بن حميد .

وذُكر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ دخَل على أهلِ الصُّفَّةِ - مكانًا يجتمعُ فيه فقراءُ المسلمين - وهم يَرْقَعون ثيابَهم بالأَدَمِ ما يجِدون لها رِقاعًا ، قال : « أنتم اليومَ خيرٌ ، أو يومَ يَغْدُو أحدُكم فى حُلَّةٍ ويروحُ فى أُخرى ، ويُغْدَى عليه بجَفْنةٍ ويُراحُ عليه بأُخرى ، ويُستَرُ بيتُه كما تُستَرُ الكعبةُ ؟ » . قالوا : نحن يومَئذٍ خيرٌ . قال : « بل أنتم اليومَ خيرٌ »[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : حدَّثنا صاحبٌ لنا عن أبى هريرةَ ، قال : إنما كان طعامُنا مع النبيِّ ﷺ الأسودَين[(٢)] ؛ الماءَ والتمرَ ، واللَّهِ ما كُنَّا نَرى سمراءَكم[(٣)] هذه ، ولا نَدْرى ما هى[(٤)] .

قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى بُرْدَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ الأَشْعَرىِّ ، عن أبيه ، قال : أى بنىَّ لو شهِدْتَنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ونحن مع نبيِّنا ، إذا أصابَتنا السماءُ حسِبتَ أن ريحَنا ريحُ الضَّأْنِ ، إنما كان لباسُنا الصوفَ[(٥)] .

---

(١) أخرجه أحمد فى الزهد ص ٢٥، ٢٦، والبيهقى ٢/٤٤٥ من حديث طلحة النصرى - وليس هو ابن عبيد الله - مرفوعًا ، وأخرجه الترمذى (٢٤٧٦) ، وأبو يعلى (٥٠٢) من حديث على مرفوعًا ، وأخرجه البيهقى فى الشعب (١٠٣٣٤) من حديث جابر مرفوعا ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٤٠، والبيهقى فى الشعب (١٠٣٣٣) عن الحسن مرسلا .

(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الأسودان » .

(٣) السمراء : الحنطة . النهاية ٢/ ٣٩٩.

(٤) أخرجه أحمد ١٤/٢٩٣ (٨٦٥٣) من طريق قتادة ، عن الحسن ، عن أبى هريرة ، وأخرجه أحمد أيضا ١٣/٣٤٢ (٧٩٦٢) ، وابن حبان (٦٨٣، ٥٨٠٥) وغيرهما من طريق داود بن فراهيج ، عن أبى هريرة .

(٥) أخرجه ابن سعد ٤/ ١٠٨، وأحمد ٤/٤١٩ (الميمنية) ، والبيهقى ٢/٤١٩ والخطيب ٥/٣٢٣ من طريق سعيد به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٨/ ٢٢٤، وأحمد ٤/٤٠٧ ، ٤١٩ (الميمنية) ، وأبو داود (٤٠٣٣) ، والترمذى (٢٤٧٩) ، وابن ماجه (٣٥٦٢) ، والبزار (٣١٣٥) ، وأبو يعلى (٧٢٦٦) ، والروياني (٤٥٥) ، وابن حبان (١٢٣٥) ، والطبرانى فى الأوسط (١٩٤٦) ، وابن عدى ٦/ ٢٢٦٥، والحاكم ٤/ ١٨٧، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٥٩، والبيهقى فى الشعب (٦١٥٩) من طرق عن قتادة به ، وأخرجه البزار (٣١٣٤) من طريق أبى بردة به .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ ، ثم قرأ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود : ١٥] . وقرأ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [الشورى : ٢٠] . وقرأ : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ [الإسراء : ١٨] . وقال : هؤلاء الذين أذهَبوا طَيِّباتِهم فى حياتِهم الدنيا .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ ﴾ ؛ فقرأَته عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ ﴾ بغيرِ استفهامٍ ، سِوى أبى جعفرٍ القارئ، فإنه قرأه بالاستفهامِ[1] . والعربُ تستفهمُ بالتوبيخِ ، وتتركُ الاستفهامَ فيه ، فتقولُ : أذَهَبْتَ ففعلتَ كذا وكذا ؟ وذهَبتَ ففعلتَ وفعلتَ ؟ وأعجبُ القراءتَين إلىَّ تركُ الاستفهامِ فيه ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليه ، ولأنه أفصحُ اللغتَين .

/ وقولُه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : يقالُ لهم : ٢٢/٢٦
فاليومَ أيُّها الكافرون الذين أذهَبوا طيباتِهم فى حياتِهم الدنيا ، ﴿ تُجْزَوْنَ ﴾ . أى : تُثابون ﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ . يعنى عذابَ الهَوانِ ؛ وذلك عذابُ النارِ الذى يُهينُهم .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) قرأه بغير استفهام - بهمزة واحدة ، على الخبر - نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى وخلف ، وقرأه بالاستفهام - بهمزتين - ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب . ينظر النشر ١/ ٢٨٥.

مجاهدٍ : ﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ . قال : الهَوانُ[١] .

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ . يقولُ : بما كنتُم تَتكبَّرون فى الدنيا على ظهرِ الأرضِ ، على ربِّكم ، فتأْبَون أن تُخْلِصوا له العبادةَ ، وأن تُذْعِنوا لأمرِه ونَهْيِه ، ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ . أى : بغيرِ ما أباحَ لكم ربُّكم ، وأَذِن لكم به ، ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ . يقولُ : بما كنتُم فيها تُخالِفون طاعتَه فتَعْصُونه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : واذكرْ يا محمدُ لقومِك الرَّادِّين عليك ما جئتَهم به مِن الحقِّ - هودًا أخا عادٍ ؛ فإن اللَّهَ بعَثك إليهم كالذى بعَثه إلى عادٍ ، فخَوِّفهم أن يَحِلَّ بهم مِن نِقْمةِ اللَّهِ على كفرِهم ما حَلَّ بهم إذ كذَّبوا رسولَنا هودًا إليهم ، إذ أنذَر قومَه عادًا بالأحقافِ . والأحقافُ جمعُ حِقْفٍ ، وهو مِن الرملِ ما استطالَ ولم يبلُغْ أن يكونَ جبلًا ، وإياه عنَى الأعشى[٢] :

فَبَاتَ إلى أَرْطاةِ حِقْفٍ تَلُفُّه خَرِيقُ شَمالٍ يَتْرُكُ الوَجْهَ أَقْتَما

واختلَف أهلُ التأويلِ فى الموضعِ الذى به هذه الأحقافُ ؛ **فقال بعضُهم** : هى جبلٌ بالشامِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٠٢.

(٢) ديوانه ص ٢٩٥.

أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ . قال : الأحقافُ جبلٌ بالشامِ[(١)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبَرنا عُبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضَّحَّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ : جبلٌ يُسَمَّى الأحقافَ[(٢)] .

وقال آخرون : بل هى وادٍ بينَ عُمانَ ومَهَرَةَ[(٣)] .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ٢٣/٢٦

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : [٨١٨/٢و] ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ . قال : فقال : الأحقافُ الذى أنذَر هودٌ قومَه ، وادٍ بينَ عُمانَ ومَهَرَةَ[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : كانت منازلُ عادٍ وجماعتِهم حيثُ بعَث اللَّهُ إليهم هودًا ، الأحقافَ ؛ الرملَ فيما بينَ عُمانَ إلى حَضرَمَوتَ ، فاليمنِ كلِّه ، وكانوا مع ذلك قد فَشَوا فى الأرضِ كلِّها ، قهَروا أهلَها بفضلِ قوَّتِهم التى آتاهم اللَّهُ[(٥)] .

وقال آخرون : هى أرضٌ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٦ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٦ إلى المصنف .

(٣) يرويه عامة الناس بتسكين الهاء والصواب التحريك . وهى قبيلة ، وهى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وباليمن لهم مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر ، وكذلك بينه وبين حضرموت . ينظر معجم البلدان ٤/ ٧٠٠.

(٤) ذكره البغوى فى تفسيره ٧/ ٢٦٢.

(٥) تقدم فى ١٠/ ٢٦٩.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الأحقافُ الأرضُ[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ . قال : حِشَافٌ . أو كلمةٌ تُشْبِهُها . قال أبو موسى : يقولون : مُسْتَحْشِفٌ .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ عن مجاهدٍ : ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ : حِشَافٌ مِن حِسْمَى[(٢)(٣)] .

وقال آخرون : هى رمالٌ مُشْرِفةٌ على البحرِ بالشِّحْرِ[(٤)] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ : ذُكر لنا أن عادًا كانوا حيًّا باليمنِ أهلَ رملٍ مُشْرِفين على البحرِ ، بأرضٍ يقالُ لها : الشِّحْرُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ . قال : بلَغَنا أنهم كانوا على أرضٍ يقالُ

---

(١) تفسير سفيان ص ٢٧٧.

(٢) الحشاف : الحجارة فى الموضع السهل . والحسمى : اسم أرض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام - الغبار الأسود - يفارقها . معجم ما استعجم ١/ ١١٩، وينظر تفسير القرطبى ١٦/ ٢٠٤.

(٣) تفسير مجاهد ص ٦٠٣.

(٤) الشحر : ساحل اليمن ، وهو ممتد بينها وبين عمان . معجم ما استعجم ٤/ ٧٨٣.

لها : الشِّحْرُ . مُشْرِفين على البحرِ ، وكانوا أهلَ رملٍ[١] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنا عمرُو بنُ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن قتادةَ أنه قال : كان مساكنُ عادٍ بالشِّحْرِ .

وأَولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أن يقالَ : إن اللَّهَ تبارك وتعالى أخبَر أن عادًا أنذَرهم أخوهم هودٌ بالأحقافِ ، والأحقافُ ما وصَفتُ مِن الرمالِ المستطيلةِ المشرِفةِ ، كما قال العَجَّاجُ[٢] :

باتَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا

/وكما **حدَّثني** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ . قال : الأحقافُ الرملُ الذى يكونُ كهيئةِ الجبلِ ، تَدْعُوه العربُ الحِقْفَ ، ولا يكونُ أحْقافًا إلا مِن الرملِ . قال : وأخو عادٍ هودٌ[٣] . ٢٤/٢٦

وجائزٌ أن يكونَ ذلك جبلًا بالشامِ . وجائزٌ أن يكونَ واديًا بينَ عُمانَ وحَضْرَموتَ . وجائزٌ أن يكونَ الشِّحْرَ . وليس فى العلمِ به أداءُ فرْضٍ ، ولا فى الجهلِ به تَضْييعُ واجبٍ ، وأين كان فصفتُه ما وصَفنا ؛ من أنهم كانوا قومًا منازلُهم الرمالُ المُسْتَعْلِيَةُ المستطيلةُ .

وقولُه : ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وقد مَضَت الرسلُ بإنذارِ أُمَمِها ، ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ . يعنى : مِن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٧ عن معمر به .

(٢) ديوانه ص ٤٩٨.

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ٧/ ٢٦٢.

قَبلِ هودٍ ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾ . يعنى : ومِن بعدِ هودٍ .

وقد ذُكِر أن ذلك فى قراءةِ عبدِ اللهِ : (وقد خلتِ النُّذُرُ مِن بينِ يَدَيْه ومِن بَعْدِه)[١] .

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . يقولُ : لا تُشْرِكوا مع اللهِ شيئًا فى عبادتِكم إيَّاه ، ولكن أخْلِصوا له العبادةَ ، وأفْرِدوا له الألوهةَ ؛ إنه لا إلهَ غيرُه . وكانوا ، فيما ذُكِرَ ، أهلَ أوثانٍ يعبُدونها مِن دونِ اللهِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبَرنا عُبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . قال : لن يَبْعَثَ اللهُ رسولًا إلا بأن يُعبدَ اللهُ[٢] .

وقولُه : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مخبرًا عن قيلِ هودٍ لقومِه : إنى أخافُ عليكم أيُّها القومُ بعبادتِكم غيرَ اللهِ عذابَ اللهِ فى يومٍ عظيمٍ ، وذلك يومٌ يَعْظُمُ هَوْلُه ، وهو يومُ القيامةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قالت عادٌ لهودٍ إذ قال لهم : لا تعبُدوا إلا اللهَ إنى أخافُ

---

(١) ينظر تفسير القرطبى ١٦/ ٢٠٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٣ إلى المصنف .

عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ : أجئتَنا يا هودُ لتَصْرِفَنا عن عبادةِ آلهتِنا إلى عبادةِ ما تَدْعُونا إليه ، وإلى اتِّباعِك على قولِك ؟

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ / ءَالِهَتِنَا ﴾ . قال : لِتُزِيلَنا . وقرأ : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ ٢٥/٢٦
أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان : ٤٢] . قال : يُضِلُّنا ويُزِيلُنا ويَأْفِكُنا[1] .

﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ : مِن العذابِ على عبادتِنا ما نعبدُ مِن الآلهةِ ، إن كنتَ مِن أهلِ الصدقِ فى قولِه وعِدَاتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قال هودٌ لقومِه عادٍ : إنَّما العِلمُ بوقتِ مجيءِ ما أَعِدُكم به مِن عذابِ اللهِ على كفرِكم به - عندَ اللهِ ، لا أعْلمُ مِن ذلك إلا ما علَّمَنى ، ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : وإنما أنا رسولٌ إليكم مِن اللهِ ، مُبَلِّغٌ أُبَلِّغُكم عنه ما أرسَلنى به مِن الرسالةِ ، ﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ مواضِعَ حظوظِ أنفسِكم ، فلا تعرِفون ما عليها مِن المَضَرَّةِ بعبادتِكم غيرَ اللهِ ، وفى استعجالِ عذابِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

---

(١) بعده فى الدر المنثور : « واحد » . والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٦ إلى المصنف .

يقولُ تعالى ذكرُه : فلمَّا جاءَهم عذابُ اللهِ الذى استعجَلوه ، فرأوه سحابًا عارضًا فى ناحيةٍ مِن نَواحِى السماءِ مُستَقبِلَ أوديتِهم ، والعربُ تُسَمِّى السحابَ الذى يُرَى فى بعضِ أقطارِ السماءِ عَشِيًّا ثم يصبِحُ مِن الغدِ قد استَوى وحَبَا[١] بعضُه إلى بعضٍ - عارِضًا ؛ وذلك لعرضِه فى بعضِ أرجاءِ السماءِ حينَ نشَأ ، كما قال الأعشى[٢] :

يا مَنْ يَرَى عارِضًا قد بِتُّ أرْمُقُه كأنما البَرْقُ فى حَافَاتِه الشُّعَلُ

- ﴿ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾ . ظَنًّا منهم برؤيتِهم إيَّاه أن غَيْثًا قد أتاهم يَحْيَون به ، فقالوا : هذا الذى كان هودٌ يَعِدُنا ، وهو الغيثُ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ الآية : ذُكِر لنا أنه[٣] حُبِس عنهم المطرُ زمانًا ، فلمَّا رَأَوا العذابَ مُقْبِلًا ، ﴿ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾ . وذُكر لنا أنهم قالوا : كذَب هودٌ ، كذَب هودٌ . فلما خرَج نبىُّ اللهِ ﷺ فَشَامَه[٤] ، قال : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ساقَ اللهُ السحابةَ السوداءَ التى اختارَ قَيْلُ / بنُ عنزٍ بما فيها مِن النِّقْمةِ إلى عادٍ ، حتى تخرُجَ عليهم مِن ٢٦/٢٦
وادٍ لهم يقالُ له : المُغِيثُ ، فلما رَأوها استَبْشَروا وقالُوا : هذا عارِضٌ مُمطِرُنا . يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥] .

---

(١) حبا السحاب : تراكم . اللسان (ح ب ى) .

(٢) ديوانه ص ٥٧ .

(٣) فى م : « أنهم » .

(٤) شام السحابَ والبرقَ شيما : نظر إليه أين يقصد وأين يُمطر . اللسان (ش ى م) .

(٥) تقدم فى ١٠/٢٦٩ وما بعدها مطولًا .

وقولُه : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مخبِرًا عن قيلِ نبيِّه ﷺ هودٍ لقومِه - لـمَّا قالوا له عندَ رؤيتِهم عارضَ العذابِ قد عرَض لهم فى السماءِ : هذا عارضٌ مُمْطِرُنا نَحْيا به - : ما هو بعارضِ غيثٍ ، ولكنه عارضُ عذابٍ لكم ، بل هو ما استَعْجَلْتم به . أى : هو العذابُ الذى استَعْجَلْتم به فقلتُم : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ . ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . والريحُ مكررةٌ على ﴿مَا﴾ فى قولِه : ﴿ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ . كأنه قيل : بل هو ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، قال : كان هودٌ جلْدًا فى قومِه ، وإنه كان قاعدًا فى قومِه فجاء سحابٌ مُكْفَهِرٌّ ، فقالُوا : ﴿ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ . فقال هودٌ : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . قال : فجاءت ريحٌ ، فجعَلَتْ تُلْقِى الفسطاطَ ، وتجىءُ بالرجلِ الغائبِ فتُلْقِيه[1] .

حدَّثنى يحيى بنُ إبراهيمَ المسعودىُّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قال سليمانُ : ثنا أبو إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، قال : لقد كانت الريحُ تحمِلُ الظعينةَ فترفَعُها حتى تُرَى كأنها جَرادةٌ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١١/٥٥١ عن محمد بن جعفر به ، وهو فى تفسير سفيان ص٢٧٧ عن أبى إسحاق به .

قال : هى الريحُ إذا أثارَت سحابًا . قالُوا : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ . فقال نبيُّهم : بل ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وقولُه : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : تُخَرِّبُ كلَّ شىءٍ ، وتَرْمِى بعضَه على بعضٍ فتُهْلِكُه ، كما قال جريرٌ[(٢)] :

وكان لكم كَبكْرِ ثَمودَ لمَّا رَغا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارا

٢٧/٢٦ / يعنى بقولِه : دمَّرهم : ألقَى بعضَهم على بعضٍ صَرْعَى هَلْكَى .

وإنما عَنَى بقولِه : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ مما أُرسِلَتْ بهلاكِه ؛ لأنها لم تدمِّرْ هودًا ومَن كان آمَن به .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا طَلْقٌ ، عن زائدةَ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما أرسَل اللهُ على عادٍ مِن الريحِ إلا قدْرَ خاتَمى هذا . فنزَع خاتَمَه[(٣)] .

وقولُه : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ . يقولُ : فأصبَح قومُ هودٍ وقد هلَكوا وفَنَوْا ، فلا يُرَى فى بلادِهم شىءٌ إلا مساكنُهم التى كانوا يسكُنونها .

واختلفَت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ : (لا تَرى إلَّا مَساكنَهم) بالتاءِ نصبًا[(٤)] . بمعنى : فأصبَحوا

---

(١) عزاه الحافظ فى الفتح ٨/٥٧٨ إلى المصنف .

(٢) البيت للفرزدق ، كما تقدم فى ١٤/٥٣٣ .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٤٥٥ من طريق الأعمش به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٤ إلى عبد بن حميد .

(٤) هى قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبى عمرو والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨ .

لا تَرَى أنت يا محمدُ إلا مساكنَهم .

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ بالياءِ فى : ﴿ يُرَىٰٓ ﴾ ، ورفعِ « المساكنِ »[1] . بمعنى ما وصَفتُ قبلُ أنه لا يُرَى فى بلادِهم شىءٌ إلا مساكنُهم . ورَوى الحسنُ البصرىُّ : (لا تُرَى) بالتاءِ[2] . وبأىِّ القراءتَين اللتين ذكَرتُ مِن قراءةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ قرَأ ذلك القارئُ فمصيبٌ ، وهو القراءةُ برفعِ « المساكنِ » إذا قُرئ قولُه : ﴿ يُرَىٰٓ ﴾ بالياءِ وضمِّها ، وبنصبِ « المساكنِ » إذا قُرئ قولُه : (تَرَى) بالتاءِ وفتحِها . وأما التى حُكيت عن الحسنِ فهى قبيحةٌ فى العربيةِ ، وإن كانت جائزةً ، وإنما قبُحت لأن العربَ تُذَكِّرُ الأفعالَ التى قبلَ « إلَّا » وإن كانت الأسماءُ التى بعدَها أسماءَ إناثٍ ، فتقولُ : ما قامَ إلا أختُك ، ما جاءَنى إلا جاريتُك . ولا يَكادون يقولون : ما جاءتْنى إلا جاريتُك . و ذلك أن المحذوفَ قبلَ « إلَّا » : « أحدٌ » أو « شىءٌ » ، و« أحدٌ » و« شىءٌ » تُذَكِّرُ فعلَهما[3] العربُ وإن عُنِى بهما المؤنثُ ، فتقولُ : إن جاءك منهنَّ أحدٌ فأكرِمْه . ولا يقولون : إن جاءتْك . وكان الفَرَّاءُ[4] يجيزُها على الاستكراهِ ، ويذكرُ أن المفضَّلَ أنشَده :

ونارُنا لم تُرَ نارًا مِثْلُها قد عَلِمَت ذاكَ مَعَدٌّ أكْرَمَا

فأنَّث فعْلَ « مِثل » ؛ لأنه للنارِ . قال : وأجودُ الكلامِ أن تقولَ : ما رُئِى مثلُها .

وقولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : كما جَزَينا عادًا بكفرِهم باللهِ مِن العقابِ فى عاجلِ الدنيا ، فأهلَكْناهم بعذابِنا ، كذلك نَجْزِى القومَ الكافرين باللهِ مِن خلقِنا ، إذا تَمادَوا فى غَيِّهم ، وطَغَوا على ربِّهم .

---

(١) وهى قراءة عاصم وحمزة . السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨.

(٢) وهى قراءة شاذة ، ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٢.

(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فعلها » .

(٤) معانى القرآن ٣/ ٥٥.

٢٨/٢٦ / القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لكفارِ قريشٍ : ولقد مَكَّنَّا أيُّها القومُ عادًا الذين أهلَكناهم بكفرِهم ، فيما لم نُمكِّنْكم فيه مِن الدنيا ، وأعطَيناهم منها الذى لم نُعْطِكم منها ؛ مِن كثرةِ الأموالِ ، وبسطةِ الأجسامِ ، وشدةِ الأبدانِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنى أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ . يقولُ : لم نُمَكِّنْكم [1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ : أنبأكم أنه أعطَى القومَ ما لم يُعْطِكم .

وقولُه : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا ﴾ يسمَعون به مواعظَ ربِّهم ، ﴿ وَأَبْصَٰرًا ﴾ يُبصِرون بها حُجَجَ اللهِ ، ﴿ وَأَفْـِٔدَةً ﴾ يَعقِلون بها ما يضرُّهم وينفعُهم ، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ . يقولُ : فلم ينفعْهم ما أعْطاهم مِن السمعِ والبصرِ والفؤادِ ؛ إذ لم يستعمِلوها فيما أُعْطُوها له ، ولم يُعْمِلوها فيما يُنَجِّيهم مِن عقابِ اللهِ ، ولكنهم استعمَلوها فيما يُقَرِّبُهم مِن سَخَطِه ؛ ﴿ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : إذ كانوا يُكذِّبون بحُجَجِ اللهِ ، وهم رُسُلُه ، ويُنْكِرون نبوَّتَهم ، ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ : وعادَ عليهم ما

(١) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى الإتقان ٤٢/٢ - من طريق أبى صالح به .

استَهْزَءوا به ، ونزَل بهم ما سَخِروا به فاستَعْجَلوا به مِن العذابِ . وهذا وعيدٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه لقريشٍ ، يقولُ لهم : فاحْذَروا أن يَحِلَّ بكم مِن العذابِ على كفرِكم باللهِ وتَكْذيبِكم رُسُلَه - ما حَلَّ بعادٍ ، وبادِروا بالتوبةِ قبلَ النِّقْمةِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لكفارِ قريشٍ ، مُحذِّرَهم بأسَه وسَطْوتَه أن يَحِلَّ بهم على كفرِهم : ولقد أهْلَكْنا/ أيُّها القومُ مِن القُرَى ما حولَ قريتِكم ، كحِجْرِ ثمودَ ، ٢٩/٢٦
وأرضِ سَدُومَ ، ومأرِبَ ، ونحوِها ، فأنذَرْنا أهلَها بالمَثُلاتِ ، وخَرَّبنا ديارَها ، فجعَلناها خاويةً على عروشِها .

وقولُه : ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾ . يقولُ : ووَعَظْناهم بأنواعِ العِظاتِ ، وذكَّرْناهم بضُرُوبٍ مِن الذِّكْرِ والحُجَجِ ، وبَيَّنَّا لهم ذلك .

كما **حدَّثني** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾ . قال : بَيَّناها .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يقولُ : ليرجِعوا عما كانوا عليه مُقِيمين ، مِن الكفرِ باللهِ وآياتِه . وفي الكلامِ متروكٌ ، تُرِك ذكرُه استغناءً بدلالةِ الكلامِ عليه ، وهو : فأبَوا إلا الإقامةَ على كفرِهم ، والتمادىَ في غَيِّهم ، فأهلَكْناهم ، فلن ينصرَهم مِنَّا ناصرٌ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فلولا نصَر هؤلاء الذين أهلَكناهم مِن الأممِ الخاليةِ قبلَهم أوثانُهم وآلهتُهم التي اتَّخَذوا عبادتَها قُرْبانًا يتقرَّبون بها ، فيما زعَموا ، إلى ربِّهم - مِنَّا ، إذ جاءهم بأسُنا ، فتُنْقِذَهم مِن عذابِنا إن كانت تشفعُ لهم عندَ ربِّهم كما

يزعُمُون .

وهذا احتجاجٌ مِن اللهِ لنبيِّه محمدٍ ﷺ على مُشركى قومِه ، يقولُ لهم : لو كانت آلهتُكم التى تعبُدون مِن دونِ اللهِ تُغْنِى عنكم شيئًا ، أو تنفعُكم عندَ اللهِ ، كما تزعمُون أنكم إنما تعبُدونها لتُقَرِّبَكم إلى اللهِ زُلْفَى - لأغْنَت عمن كان قبلَكم مِن الأممِ التى أهلكتُها بعبادتِهم إيَّاها ، فدَفَعَت عنها العذابَ إذا نزَل ، أو لشفَعَت لهم عندَ ربِّهم ، فقد كانوا مِن عبادتِها على مثلِ الذى عليه أنتم ، ولكنها ضَرَّتْهم ولم تنفعْهم . يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ﴾ . يقولُ : بل تركَتهم آلهتُهم التى كانوا يعبُدونها ، فأخَذَت غيرَ طريقِهم ؛ لأنَّ عَبَدَتَها هلَكت ، وكانت هى حجارةً أو نُحاسًا ، فلم يُصِبْها ما أصابَهم ، ودَعَوها فلم تُجِبْهم ، ولم تُغِثْهم ، وذلك ضلالُها عنهم ، ﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ . يقولُ عزَّ وجلَّ : هذه الآلهةُ التى ضَلَّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبُدونها مِن دونِ اللهِ ، عندَ نُزُولِ بأسِ اللهِ بهم ، وفى حالِ طمعِهم فيها أن تُغِيثَهم ، فخَذَلَتْهم - هو ﴿ إِفْكُهُمْ ﴾ . يقولُ : هو كذِبُهم الذى كانوا يَكذِبون ويقولون : هؤلاء آلهتُنا . ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ . يقولُ : وهو الذى كانوا يَفْتَرون فيقولون : هى تُقَرِّبُنا إلى اللهِ زُلْفى ، وهى شفعاؤُنا عندَ اللهِ . وأُخرج الكلامُ مُخرجَ الفعلِ ، والمَعْنىُّ المفعولُ به ، فقيل : وذلك إفْكُهم . والمَعْنىُّ فيه : المأفُوكُ به ؛ لأنَّ الإفكَ إنما هو فعْلُ الآفِكِ ، والآلهةُ مأفوكٌ بها . وقد مضَى البيانُ عن نظائرِ ذلك قبلُ . قال : وكذلك قولُه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ .

واختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ ؛ فقرَأتْه عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ بكسرِ الألفِ ، وسكونِ الفاءِ ، وضمِّ الكافِ ، بالمعنى الذى بَيَّنَّا .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ رضِى اللهُ عنه فى ذلك ما **حدَّثنى** أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا القاسمُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، عن عوفٍ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يقرَؤُها : (وذلك أفَكَهُمْ) . يعنى : بفتحِ الألفِ والكافِ ، وقال : أضَلَّهم[1] .

فمَن قرَأ القراءةَ الأولى التى عليها قرَأةُ الأمصارِ ، فالهاءُ والميمُ فى موضعِ خفضٍ . ومَن قرَأ هذه القراءةَ التى ذكَرناها عن ابنِ عباسٍ ، فالهاءُ والميمُ فى موضعِ نصبٍ ؛ وذلك أن معنى الكلامِ على ذلك : وذلك صَرَفَهم عن الإيمانِ باللهِ .

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندَنا القراءةُ التى عليها قرَأةُ الأمصارِ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ عليها .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٣٠/٢٦
ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُقَرِّعًا كفارَ قريشٍ بكفرِهم بما آمَنت به الجنُّ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ . ذُكِر أنهم صُرِفوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ بالحادثِ الذى حدَث من رجْمِهم بالشُّهُبِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مُغِيرةَ ، عن زيادٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، قال : كانت الجنُّ تَسْتَمِعُ ، فلما رُجِموا قالوا : إنَّ هذا الذى حدَث فى السماءِ لِشىءٍ حدَثَ فى الأرضِ ، فذهَبوا يَطْلُبون ، حتى رأَوا النبىَّ ﷺ خارِجًا من سوقِ عكاظٍ يُصلِّى بأصحابِه الفجرَ ، فذهَبوا إلى قومِهم .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٤ إلى المصنف ، وينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤٠ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، قال : لما بُعِث النبيُّ ﷺ حُرِسَت السماءُ ، فقال الشيطانُ : ما حُرِسَت إلا لأمرٍ قد حدَث فى الأرضِ ، فبعَث سراياه فى الأرضِ ، فوجَدوا النبيَّ ﷺ قائمًا يُصَلِّى صلاةَ الفجرِ بأصحابِه بنَخْلَةَ[1] وهو يَقْرَأُ ، فاستمَعوا حتى إذا فرَغ ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : لم تَكُنِ السماءُ تُحْرَسُ فى الفترةِ بينَ عيسى ومحمدٍ صلَّى اللهُ عليهما ، وكانوا يَقْعُدون مقاعِدَ للسمْعِ ، فلمَّا بعَث اللهُ محمدًا ﷺ حُرِست السماءُ حَرَسًا شديدًا ورُجِمت الشياطينُ ، فأنكَروا ذلك ، وقالوا : ﴿ لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] . فقال إبليسُ : لقد حدَث فى الأرضِ حدَثٌ . واجتمَعت إليه الجنُّ ، فقال : تفرَّقوا فى الأرضِ ، فأخْبِرُونى ما هذا الخبرُ الذى حدَث فى السماءِ . وكان أولَ بعْثِ ركْبٌ من أهلِ نَصِيبينَ[3] ، وهى أشرافُ الجنِّ وساداتُهم ، فبعَثهم اللهُ إلى تِهامةَ فاندفَعوا حتى بلَغوا الوادِىَ ؛ وادىَ نخلةَ ، فوجَدوا نبىَّ اللهِ ﷺ يُصَلِّى صلاةَ الغداةِ ببطنِ نخلةَ ، فاستمَعوا ، فلما سمِعوه يتلو القرآنَ قالوا : ﴿ أَنصِتُوا۟ ﴾ ، ولم يَكُنْ نبىُّ اللهِ ﷺ علِم أنهم استمَعوا إليه وهو يَقْرَأُ القرآنَ ، ﴿ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[4] .

واختلف أهلُ التأويلِ فى مبلَغِ عددِ النفَرِ الذين قال اللهُ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : كانوا سبعةَ نفَرٍ .

---

(١) نخلة : موضع على ليلة من مكة . معجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢١٨ عن معمر به .

(٣) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة فى الطريق من الموصل إلى الشام . معجم البلدان ٤/ ٧٨٧ .

(٤) ذكره الحافظ فى الفتح ٨/ ٦٧٢.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا عبدُ الحميدِ ، قال : ثنا (١النضرُ بنُ عربيٍّ١) ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : / ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية . ٣١/٢٦
قال : كانوا سبعةَ نَفَرٍ مِن أهلِ نَصِيبينَ ، فجعَلهم رسولُ اللهِ ﷺ رُسُلًا إلى قومهم[٢] .

وقال آخرون : بل كانوا تسعةَ نفَرٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ . قال : كانوا تسعةَ نفَرٍ ، فيهم زَوْبعةُ[٣] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ ، قال : أُنزِل على النبيِّ ﷺ وهو ببطنِ نخلةَ ، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ . قال : كانوا تسعةً ، أحدُهم زَوْبَعَةُ[٤] .

وقولُه : ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ . يقولُ : فلمَّا حضَر هؤلاء النفَرُ مِن الجنِّ الذين صرَفهم اللهُ إلى رسولِه نبيِّ اللهِ ﷺ .

(١ - ١) كذا فى النسخ ، وفى مصدرى التخريج : « النضر أبى عمر » .

(٢) أخرجه الطبرانى (١١٦٦٠) ، وابن عدى فى الكامل ٢٤٨٨/٧ من طريق أبى كريب به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٦ إلى ابن مردويه ، وعند الطبرانى والسيوطى بلفظ : « تسعة » بدلا من : « سبعة » .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٥٣) من طريق يحيى بن يمان به .

(٤) أخرجه البزار (١٨٤٦) من طريق أبى أحمد به بلفظ : سبعة . وينظر علل الدارقطنى ٥/ ٥٤ وأخرجه ابن أبى شيبة - كما فى تفسير ابن كثير ٢٧٣/٧ - ومن طريقه الحاكم ٤٥٦/٢ ، والبيهقى فى الدلائل ٢٢٨/٢ ، وأحمد بن منيع فى مسنده - كما فى الدر المنثور ٤٤/٦ ومن طريقه الدارقطنى فى العلل ٥٥/٥ من طريق أبى أحمد عن سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٦ إلى ابن مردويه وأبى نعيم فى الدلائل .

واختلف أهلُ العلمِ فى صفةِ حُضُورِهم كان[١] رسولَ اللهِ ﷺ ؛ **فقال بعضُهم** : حضَروا رسولَ اللهِ ﷺ يَتعرَّفون الأمرَ الذى حدَث مِن قِبَلِه ما حدَث فى السماءِ ، ورسولُ اللهِ ﷺ لا يَشْعُرُ بمكانِهم ، كما قد ذكَرنا عن ابنِ عباسٍ قبلُ .

وكما **حدَّثنا** ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا هَوْذَةُ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ . قال : ما شعَر بهم رسولُ اللهِ ﷺ حتى جاءوا ، فأوحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه فيهم ، وأخبَر عنهم .

وقال آخرون : بل أُمِر نبىُّ اللهِ ﷺ أن يَقْرَأَ عليهم القرآنَ ، وأنما جُمِعوا له بعدَ أن تقدَّمَ اللهُ إليه بإنذارِهم ، وأمَره بقراءةِ القرآنِ عليهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ . قال : ذُكِر لنا أنهم صُرِفوا إليه من نِينَوَى . قال : فإن نبىَّ اللهِ ﷺ قال : « إنى أُمِرتُ أن أقرَأَ القرآنَ على الجنِّ ، فأيُّكم يَتْبَعُنى ؟ » فأطرَقوا ، ثم استتبَعَهم فأطرَقوا ، ثم استتبعهم الثالثةَ فأطرَقوا ، فقال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ [٢]إنك لذو بَدِيئةٍ[٢] . فاتَّبعَه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ، فدخَل رسولُ اللهِ ﷺ شِعْبًا يُقالُ له شِعبُ الحَجُونِ . قال : وخَطَّ نبىُّ اللهِ ﷺ على عبدِ اللهِ خَطًّا ليُثْبِتَه[٣] به . قال : فجعَلتْ تهوِى بى ، وأَرى أمثالَ النُّسورِ تَمْشِى فى دُفوفِها ، وسمِعتُ

---

(١) سقط من : م ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مكان » .

(٢ - ٢) فى م : « بدئة » ، وكذا رسمت فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، والمثبت موافق لما فى مخطوطة ابن كثير ففيه : « إن ذاك لذو بدأة » ، وإنك لذو بديئة : أى لك أن تبدأ قبل غيرك . ينظر اللسان (ب د أ) .

(٣) أثبت فلانًا : حبسه . اللسان (ث ب ت) .

لَغَطًا شديدًا ، حتى خِفْتُ على نبيِّ اللهِ ﷺ ، ثم تلا القرآنَ ، فلما رجَع نبيُّ اللهِ قلتُ : يا نبيَّ اللهِ ، ما اللغَطُ الذى سمِعتُ ؟ قال : « اجتمَعوا إلىَّ فى قتيلٍ كان بينَهم » . فقَضَى بينَهم بالحقِّ[(١)] .

ذُكِر لنا[(٢)] أن ابنَ مسعودٍ لما قدِم الكوفةَ رأى شيوخًا شُمْطًا من الزُّطِّ فراعُوه[(٣)] ، قال : مَن هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء نفرٌ مِن الأعاجمِ ، قال : ما رأيتُ لِلَّذين قرَأ عليهم النبيُّ ﷺ الإسلامَ من الجنِّ شَبَهًا أدنى من هؤلاء .

/ **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ أن نبيَّ اللهِ ﷺ ٣٢/٢٦
ذهَب وابنُ مسعودٍ ليلةَ دعا الجنَّ ، فخطَّ النبيُّ ﷺ على ابنِ مسعودٍ خطًّا ، ثم قال له : « لا تَخْرُجْ منه » . ثم ذهَب النبيُّ ﷺ إلى الجنِّ ، فقرَأ عليهم القرآنَ ، ثم رجَع إلى ابنِ مسعودٍ فقال : « هل رأَيْتَ شيئًا ؟ » . قال : سمِعتُ لَغَطًا شديدًا . قال : « إن الجنَّ تدارَأت فى قتيلٍ قُتِل بينَها » . فقَضَى بينهم بالحقِّ ، وسألوه الزادَ ، فقال : « كلُّ عَظمٍ لكم عَرْقٌ ، وكلُّ رَوْثٍ لكم خَضِرةٌ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ تُقذِّرها الناسُ علينا . فنهَى النبيُّ ﷺ أن يُسْتَنْجَى بأحدِهما . فلمَّا قدِم ابنُ مسعودٍ الكوفةَ رأى الزُّطَّ ، وهم قومٌ طِوالٌ سودٌ ، فأفزَعوه ، فقال : أظَهَروا ؟! فقيل له : إن هؤلاء قومٌ من الزُّطِّ . فقال : ما أشبَههم بالنفرِ الذين صُرِفوا إلى النبيِّ ﷺ[(٤)] .

قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن يحيى بن أبى كثيرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ غَيلانَ الثقفىِّ ، أنه قال لابنِ مسعودٍ : حُدِّثتُ أنك كنتَ مع رسولِ اللهِ ﷺ ليلةَ وفْدِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٢٧٩/٧ من طريق سعيد به .

(٢) القائل هو قتادة . وينظر تفسير البغوى ٧/ ٢٦٨.

(٣) الشمَط : بياضُ شعر الرأس يخالط سواده . والزط : جيل من الناس ، من السودان ، وقيل : من الهند . طوال مع نحافة ، وراعوه : أفزعوه . وينظر التاج (ش م ط ، ز ط ط ، ر و ع) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٨/٢ ، ٢١٩ عن معمر به .

الجنِّ . قال : أجَلْ . قال : فكيفَ كان ؟ فذكَر الحديثَ كلَّه ، وذكَر أن النبيَّ ﷺ خطَّ عليه خطًّا وقال : « لا تَبْرَحْ منها » . فذكَر أن مثلَ العَجاجةِ[١] السوداءِ غشِيَت رسولَ اللهِ ﷺ ، فذُعِر ثلاثَ مرَّاتٍ ، حتى إذا كان قريبًا من الصبحِ أتانى النبيُّ ﷺ ، فقال : « أنِمْتَ ؟ » قلتُ : لا واللهِ ، ولقد همَمتُ مِرارًا أن أستَغيثَ بالناسِ ، حتى سمِعتُك تَقْرَعُهم بعصاك ، تقولُ : « اجلِسوا » . قال : « لو خرَجتَ لم آمَنْ أن يتخطَّفَك[٢] بعضُهم » . ثم قال : « هل رأيْتَ شيئًا ؟ » . قال : نعمْ ، رأيتُ رجالًا سودًا مُسْتَثْفِرى[٣] ثِيابٍ بياضٍ . قال : « أولئكِ جنُّ نَصِيبينَ ، سألونى المتاعَ - والمتاعُ الزادُ - فمتَّعتُهم بكلِّ عظْمٍ حائلٍ[٤] أو بعْرةٍ أو رَوْثةٍ » . فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، وما يُغْنى ذلك عنهم ؟ قال : « إنهم لا يجِدون عَظْمًا إلَّا وجَدوا عليه لحمَه يومَ أُكِل ، ولَا رَوْثةً إلا وجَدوا فيها حَبَّها يومَ أُكِلتْ ، فلا يَسْتَنقِيَنَّ أحدٌ منكم إذا خرَج من الخلاءِ بعظْمٍ ولا بَعْرةٍ ولا رَوْثةٍ »[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : أخبَرنا أبو زُرْعةَ وهبُ اللهِ بنُ راشدٍ ، قال : قال يونسُ ، قال ابنُ شهابٍ : أخبَرنى أبو عثمانَ بنُ سَنَّةَ[٦] الخزاعىُّ - وكان من أهلِ الشامِ - أنَّ ابنَ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه وهو بمكةَ : « من أحبَّ منكم أن يَحْضُرَ أمرَ الجنِّ الليلةَ فليَفْعَلْ » . فلم يَحْضُرْ منهم أحدٌ غيرى . قال : فانطلَقْنا حتى إذا كنَّا بأعلى مكةَ خطَّ لى برجلِه خطًّا ، ثم أمَرنى أن أجْلِسَ فيه ،

---

(١) العجاج : الغبار ، واحدته عجاجة . التاج (ع ج ج) .

(٢) فى م : « يختطفك » .

(٣) فى م : « مستشعرى » . والاستثفار : أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه . النهاية ١/٢١٤ .

(٤) الحائل : المتغير اللون من كل شىء . مِن حال لونُه ، إذا تغير واسودَّ . التاج (ح و ل) .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/٢٧٦ عن المصنف ، وأخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية ٩/٦٥ - من طريق معمر به .

(٦) فى م : « شبة » ، وفى ت ١ : « شينة » . وينظر المشتبه ١/ ٣٨٩.

ثم انطلَق حتى قامَ ، فافتتَح القرآنَ ، فغشِيتْه أسْوِدَةٌ كثيرةٌ[(١)] حالت بينى وبينَه حتى ما أسْمَعُ صوتَه . ثم طفِقوا يَتَقَطَّعون مثلَ قِطعِ السحابِ ذاهبين ، حتى بقِيَ منهم رهطٌ ، ففرَغ رسولُ اللهِ ﷺ مع الفجرِ ، فانطلَق مُتَبرِّزًا ، ثم أتانى فقال : « ما فعَل الرَّهْطُ ؟ » قلتُ : هم أولئك يا رسولَ اللهِ . فأخَذ عظْمًا أو روْثًا أو حُمَمَةً[(٢)] ، فأعطاهم إياه زادًا ، ثم نهَى أن يَسْتطِيبَ أحدٌ بعظمٍ أو روثٍ[(٣)] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : ثنا عمى عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن أبى عثمانَ بنِ سَنَّةَ[(٤)] الخُزاعىِّ - وكان من أهلِ الشامِ - أن عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ . فذكَر مثلَه سواءً ، إلا أنه قال : فأعطاهم رَوْثًا أو عظمًا زادًا . ولم يَذْكُرِ الحُمَمَةَ[(٥)] .

/ **حدَّثنى** أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبَرنى يونسُ ، ٣٣/٢٦
عن الزهرىِّ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ ، أن ابنَ مسعودٍ قال : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « بِتُّ الليلةَ أقرَأُ على الجنِّ رُبُعًا بالحَجُونِ »[(٦)] .

واختلَفوا فى الموضعِ الذى تَلا عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فيه القرآنَ ؛ فقال عبدُ اللهِ

---

(١) فى م : « كبيرة » . وأسودة : جمع سواد ، وهو الشخص ؛ لأنه يُرى من بعيد أسود . التاج (س و د) .

(٢) فى م : « جمجمة » . والحممة : الفحمة ، جمعها حمم . النهاية ١/ ٤٤٤.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٧٥ عن المصنف ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٣، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٣٠ من طريق يونس به ، وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١١٤) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٢٦٣) من طريق ابن شهاب به .

(٤) فى م : « شبة » .

(٥) فى م : « الجمجمة » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٧٥ عن المصنف ، وأخرجه النسائى (٣٩) ، والطحاوى فى شرح المعانى ١/ ١٢٣ من طريق ابن وهب به مختصرا .

(٦) الحجون : موضع بمكة عند المُحَصَّب . ويقال : مقبرة أهل مكة ، تجاه دار أبى موسى الأشعرى . معجم ما استعجم ٢/ ٤٢٨.

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٧٥ عن المصنف ، وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١١٦) من =

ابنُ مسعودٍ : قرَأ عليهم بالحَجُونِ . وقد ذكَرْنا الروايةَ عنه بذلك .

وقال آخرون : قرَأ عليهم بنَخلةَ . وقد ذكَرْنا بعضَ مَن قال ذلك ، ونَذْكُرُ مَن لم نَذْكُرْه .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا خلادٌ ، عن زهيرِ بنِ معاويةَ ، عن جابرٍ الجُعْفيِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النَّفَرَ الذين أتَوا رسولَ اللهِ ﷺ من جنِّ نَصِيبينَ أتَوه وهو بنَخلةَ[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ . قال : لقِيَهم بنَخلةَ ليلتَئذٍ[2] .

وقولُه : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فلمَّا حضَروا القرآنَ ورسولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ ، قال بعضُهم لبعضٍ : أَنصِتوا لنَسْتَمِعَ القرآنَ .

كما **حدَّثنا** ابنُ بشارٍ ، قال: ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ . قالوا : صَهْ[3] .

قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، عن زرِّ بنِ حُبَيْشٍ مثلَه[3] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ : قد علِم القومُ أنهم لن يَعْقِلوا حتى يُنْصِتوا .

وقولُه : ﴿ فَلَمَّا قُضِىَ ﴾ . يقولُ : فلما فرَغ رسولُ اللهِ ﷺ من القراءةِ وتلاوةِ القرآنِ .

= طريق ابن شهاب به .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٤ إلى المصنف وابن المنذر وأبي نعيم في الدلائل .

(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٣.

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٦٥.

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ . يقولُ : فلما فرَغ من الصلاةِ ، ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ .

وقولُه : ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ . يقولُ : انصرَفوا مُنذِرين عذابَ اللهِ على الكفرِ به .

وذُكِر عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جعَلهم رُسُلًا إلى قومِهم .

حدَّثنا بذلك أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا عبدُ الحميدِ الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا النضرُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ[1] .

وهذا القولُ خلافُ القولِ الذى رُوِى عنه أنه قال : لم يَكُنْ نبىُّ اللهِ ﷺ علِم أنهم استمَعوا إليه وهو يَقْرَأُ القرآنَ[2] . لأنَّه محالٌ أن يُرْسِلَهم إلى آخرِين إلا بعدَ علمِه بمكانِهم . إلا أن يُقالَ : لم يَعْلَمْ/ بمكانِهم فى حالِ استماعِهم للقرآنِ ، ثم علِم بعدُ ٣٤/٢٦
قبلَ انصرافِهم إلى قومِهم ، فأرسَلهم رُسُلًا حينَئذٍ إلى قومِهم ، وليس ذلك فى الخبرِ الذى رُوِى .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُخبِرًا عن قيلِ هؤلاء الذين صُرِفوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ من الجنِّ لقومِهم لـمَّا انصرَفوا إليهم من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ : يا قومَنا من الجنِّ ، إنَّا

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٦٥ .

(٢) ينظر الأثر المتقدم فى ص ١٦٤ .

سمِعْنا كتابًا أُنزِل من بعدِ كتابِ موسى ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . يقولُ : يُصَدِّقُ ما قبلَه من كتبِ اللهِ التى أنزَلها على رُسُلِه .

وقولُه : ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ . يقولُ : يُرْشِدُ إلى الصوابِ ويَدُلُّ على ما فيه للهِ رضًا ، ﴿ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . يقولُ : وإلى طريقٍ لا اعْوجاجَ فيه ، وهو الإسلامُ .

وكان قتادةُ يقولُ فى ذلك ما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ أنه قرأ : ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . فقال : ما أسرَعَ ما عقَل القومُ ! ذُكِر لنا أنَّهم صُرِفوا إليه من نِينَوَى[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُخبِرًا عن قيلِ هؤلاء النَّفَرِ من الجنِّ لقومِهم : ياقومَنا من الجنِّ ، ﴿ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ . قالوا : أجِيبوا رسولَ اللهِ محمدًا إلى ما يَدْعوكم إليه من طاعةِ اللهِ ، ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : وصَدِّقوه فيما جاءكم به وقومَه من أمرِ اللهِ ونهيِه وغيرِ ذلك مما دعاكم إلى التصديقِ به ، ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ . يقولُ : يَتَغَمَّدْ لكم ربُّكم من ذنوبِكم فيَسْتُرُها عليكم[2] ولا يَفْضَحُكم بها فى الآخرةِ ، بعقوبتِه إيَّاكم عليها ، ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . يقولُ : ويُعِذْكم[3] من عذابٍ موجعٍ إذا أنتم

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٦٦ ، ١٦٧.

(٢) فى م : « لكم » .

(٣) فى م : « ينقذكم » .

تُبْتُم من ذنوبِكم ، وأنبتم من كفرِكم إلى الإيمانِ باللهِ وبداعِيه .

وقولُه : ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مخبرًا عن قيلِ هؤلاء النَّفَرِ لقومِهم : ومَن لا يُجِبْ أيُّها القومُ رسولَ اللهِ ﷺ محمدًا وداعيَه إلى ما بعثه بالدعاءِ / إليه ؛ من توحيدِه والعملِ بطاعتِه ، ﴿فَلَيْسَ ٣٥/٢٦
بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ . يقولُ : فليس بمعجزٍ ربَّه بهربِه ، إذا أراد عقوبتَه على تكذيبِه داعيَه وترْكِه تصديقَه ، وإنْ ذهَب فى الأرضِ هاربًا ؛ لأنه حيثُ كان فهو فى سلطانِه وقبضتِه ، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ . يقولُ : وليس لمن لم يُجِبْ داعىَ اللهِ من دونِ ربِّه نُصراءُ يَنْصُرونه من اللهِ ، إذا عاقبَه ربُّه على كفرِه به وتكذيبِه داعيَه .

وقولُه : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ . يقولُ : هؤلاء الذين (١لا يُجِيبون١) داعىَ اللهِ فيُصَدِّقوا به وبما دعاهم إليه من توحيدِ اللهِ والعملِ بطاعتِه - فى جَوْرٍ عن قصدِ السبيلِ ، وأخذٍ على غيرِ استقامةٍ ، ﴿مُّبِينٍ﴾ . يقولُ : يَبِينُ لمن تأمَّله أنه ضلالٌ وأخْذٌ على غيرِ قصدٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أولم يَنْظُرْ هؤلاء المُنكِرون إحياءَ اللهِ خلقَه مِن بعدِ وفاتِهم ، وبعثَه إيَّاهم من قبورِهم بعدَ بِلاهم ، القائلون لآبائِهم وأمهاتِهم : ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ [الأحقاف : ١٧] فلم يُبْعَثوا - بأبصارِ قلوبِهم ، فيَرَوا ويَعْلَموا أنَّ اللهَ الذى خلَق السماواتِ السبعَ والأرضَ ، فابتدَعهُنَّ من غيرِ شىءٍ ، ولم يَعْىَ بإنشائِهن فيَعْجِزَ عن اختراعِهن وإحدائِهن ، ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن

(١ - ١) فى م : « لم يجيبوا » .

﴿ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ فيُخْرِجَهم مِن بعدِ بِلاهم فى قبورِهم أحياءً كهيئتِهم قبلَ وفاتِهم .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى وجهِ دخولِ الباءِ فى قولِه : ﴿ بِقَٰدِرٍ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : هذه الباءُ كالباءِ فى قولِه : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ٤٣ ، الإسراء : ٩٦ ، العنكبوت : ٥٢] . وهو مِثلُ : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[(١)] : دخَلت هذه الباءُ لـ « لَمْ » . قال والعربُ تُدْخِلُها مع الجحودِ إذا كانت رافعةً لما قبلَها ، وتُدْخِلُها إذا وقَع عليها فعلٌ يَحْتَاجُ إلى اسمين ، مثلَ قولِك : ما أظنُّك بقائمٍ ، وما أظنُّ أنك بقائمٍ ، وما كنتَ بقائمٍ . فإذا خَلَعْت الباءَ نصَبْت الذى كانت تَعملُ فيه [(٢)]بما يَعملُ فيه[(٢)] من الفعلِ . قال : ولو أُلْقِيت الباءُ من « قادرٍ » فى هذا الموضعِ رُفِع ؛ لأنه خبرٌ لـ « أنَّ » . قال : وأنشَدنى بعضُهم :

فما رجَعت بخائبةٍ[(٣)] رِكابٌ حَكِيمُ بنُ المسيَّبِ مُنْتَهاها

فأدخَل الباءَ فى فعلٍ لو أُلقيت منه نُصِب[(٤)] بالفعلِ لا بالباءِ ، يُقاسُ على هذا ما أشبَهه .

٣٦/٢٦ / وقال بعضُ مَن أنكَر قولَ البصريِّ الذى ذكَرْنا قولَه : هذه الباءُ دخَلت للجحدِ ؛ لأنَّ المجحودَ فى المعنى – وإن كان قد حال بينَهما بـ « أنَّ » – : أَوَلَمْ يَروا أنَّ اللهَ قادرٌ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتى . قال : فـ « أنَّ » اسمُ « يَرَوا » ، وما بعدَها فى صلتِها ، ولا تَدْخُلُ فيه الباءُ ، ولكنَّ معناه جَحْدٌ ، فدخَلت للمعنى .

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ٣/٥٦ ، ٥٧ .

(٢ – ٢) سقط من : ت ١، وفى ص ، ت ٢، ت ٣: « تعمل » .

(٣) فى ت١ ، ت٢ ، ت ٣: « بجانية » .

(٤) فى ت ١: « نصبته » ، وفى ت ٢، ص : « نصبت » .

وحُكِى عن البصرىِّ أنه كان يَأْبَى إدخالَ « إلَّا » ، وأنَّ النحويين من أهلِ الكوفةِ يُجيزونه ، ويَقولون : ما ظننتُ أنَّ زيدًا إلَّا قائمًا ، وما ظننتُ أنَّ زيدًا بعالمٍ . ويُنْشِدُ :

ولستُ بحالفٍ لَوَلَدْتُ مِنهم على عمِّيَّةٍ إلَّا زِيادا

قال : فأدخل « إلَّا » بعدَ جوابِ اليمينِ . قال : فأمَّا : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ . فهذه لم تَدْخُلْ إلَّا لمعنًى صحيحٍ ، وهى للتعجُّبِ ، كما تقولُ : لظَرُفَ بزيدٍ . قال : وأمَّا : ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ . فأجمَعوا على أنها صلةٌ .

وأشبهُ الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : دخَلت الباءُ فى قولِه : ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ للجَحْدِ ؛ لِما ذكَرْنا لقائلى ذلك من العِللِ .

واختلَفت القرَأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرَأةِ الأمصارِ غيرَ أبى إسحاقَ والجَحْدَرىِّ والأعرجِ : ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ . وهى الصحيحةُ عندَنا ؛ لإجماعِ قرَأةِ الأمصارِ عليها .

وأما الآخرون الذين ذكَرْتُهم فإنهم فيما ذُكِر عنهم كانوا يَقْرَءُون ذلك : (يقدِرُ) بالياءِ[1] .

وقد ذُكِر أنه فى قراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ : (أنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ قَادرٌ) بغيرِ باءٍ[2] . ففى ذلك حجةٌ لمن قرَأه : ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بالباءِ والألفِ .

وقولُه : ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : بلى ، يَقْدِرُ الذى خلَق السماواتِ والأرضَ على إحياءِ الموتى . أى : الذى خلَق ذلك على كلِّ شىءٍ شاء خلْقَه وأراد فعْلَه ، ذو قدرةٍ لا يُعْجِزُه شىءٌ أرادَه ، ولا يُعْيِيه شىءٌ أراد فِعْلَه

---

(١) وهى قراءة يعقوب من العشرة ، وهى قراءة متواترة . النشر ٢/٢٦٦ ، وبها قرأ أيضا زيد بن على وعمرو بن عبيد وعيسى . البحر المحيط ٨/ ٦٨.

(٢) ينظر تفسير القرطبى ١٦/ ٢١٩.

فيُعييَه إنشاءُ الخلقِ بعدَ الفناءِ ؛ لأن مَن عجَز عن ذلك فضعيفٌ ، فلا يَنْبَغى أن يكونَ إلهًا من كان عمَّا أراد ضعيفًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ويومَ يُعْرَضُ هؤلاء المكذِّبون بالبعثِ وثوابِ اللهِ عبادَه على أعمالِهم الصالحةِ ، وعقابِه إياهم على أعمالِهم السيئةِ - على النارِ ، نارِ جهنمَ ، يُقالُ لهم حينَئذٍ : أليس هذا العذابُ الذى تُعذَّبونه اليومَ ، وقد كنتم تُكَذِّبون به فى الدنيا - بالحقِّ ؟ توبيخًا من اللهِ لهم على تكذيبِهم به كان فى الدنيا ، ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ ﴾ . يقولُ : فيُجِيبُ هؤلاء الكفرةُ من فورِهم بذلك ، بأن يَقولوا : بلى ، هو الحقُّ واللهِ ، ﴿ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : فقال لهم المقرِّرُ بذلك : فذوقوا عذابَ النارِ الآنَ ؛ بما كنتم تَجْحَدونه فى الدنيا وتُنْكِرُونه ، وتَأْبَون الإقرارَ إذا دُعيتم إلى التصديقِ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . /٣٧/٢٦

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، مُثَبِّتَه على المُضِىِّ لما قلَّده من عِبْءِ الرسالةِ وثقلِ أحمالِ النبوَّةِ ﷺ ، وآمِرَه بالائتساءِ فى العزمِ على النفوذِ لذلك بأُولِى العزمِ من قبلِه من رسلِه الذين صبَروا على عظيمِ ما لَقُوا فيه من قومِهم من المكارِه ، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائدِ : ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمدُ على ما أصابك فى اللهِ من أذى مكذِّبيك من قومِك الذين أرسَلْناك إليهم بالإنذارِ ، ﴿ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟

﴿ ٱلْعَزْمِ ﴾ على القيامِ بأمرِ اللهِ ، والانتهاءِ إلى طاعتِه ، من رسلِه الذين لم يَنْهَهم عن النفوذِ لأمرِه ما نالهم فيه من شدَّةٍ .

وقيل : إن أُولى العزمِ منهم كانوا الذين امتُحِنوا فى ذاتِ اللهِ فى الدنيا بالمحنِ ، فلم تَزِدْهم المحنُ إلا جِدًّا فى أمرِ اللهِ ، كنوحٍ وإبراهيمَ وموسى ومن أشبَهَهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنى ثوابةُ بنُ مسعودٍ ، عن عطاءٍ الخراسانىِّ أنه قال : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ : نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمدٌ صلَّى اللَّهُ عليهم وسلَّم .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ : كنا نحدَّثُ أنَّ إبراهيمَ كان منهم[1] .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى ذلك ما **حدَّثنى** به يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : كلُّ الرسلِ كانوا أولى عزمٍ ، لم يَتَّخِذِ اللهُ رسولًا إلا كان ذا عزمٍ ، فاصبِرْ كما صبَروا .

حدَّثنا ابنُ سنانٍ القزازُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ رجاءٍ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ . قال : سمَّاه اللهُ من شدتِه العزمَ .

وقولُه : ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ . يقولُ : ولا تَستَعْجِلْ عليهم العذابَ . يقولُ :

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢١٩ عن معمر عن قتادة بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

لا تَعْجَلْ بمسألتِك ربَّك ذلك لهم ، فإن ذلك نازلٌ بهم لا محالةَ ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ . يقولُ : كأنهم يومَ يَرَون عذابَ اللهِ الذى يَعِدُهم أنه منزلُه بهم ، لم يَلْبَثوا فى الدنيا إلا ساعةً من نهارٍ ؛ لأنه يُنْسِيهم شدَّةُ ما يَنْزِلُ بهم من عذابِه قدرَ ما كانوا فى الدنيا لبِثوا ، ومبلغَ ما فيها مكَثوا من السنين والشهورِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٢، ١١٣] .

٣٨/٢٦ / وقولُه : ﴿ بَلَٰغٌ ﴾ . **فيه وجهان ؛ أحدُهما** : أن يكونَ معناه : لم يَلْبَثوا إلا ساعةً من نهارٍ ، ذلك لُبْثُ بلاغٍ . بمعنى : ذلك بلاغٌ لهم فى الدنيا إلى أجلِهم . ثم حُذِفت : ذلك لُبْثُ . وهى مرادةٌ فى الكلامِ ؛ اكتفاءً بدلالةِ ما ذُكِر من الكلامِ عليها . **والآخرُ** : أن يكونَ معناه : هذا القرآنُ والتذكيرُ بلاغٌ لهم وكفايةٌ إن فكَّروا واعتَبروا فتذكَّروا .

وقولُه : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فهل يُهْلِكُ اللهُ بعذابِه إذا أنزَله إلَّا القومَ الذين خالَفوا أمرَه ، وخرَجوا عن طاعتِه وكفَروا به ؟ ومعنى الكلامِ : وما يُهْلِكُ اللهُ إلا القومَ الفاسقين .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ : تعلَّموا ، ما يَهْلِكُ على اللهِ إلا هالكٌ ولَّى الإسلامَ ظهرَه ، أو منافقٌ صدَّق بلسانِه وخالَف بعملِه[1] . ذُكِر لنا أن نبىَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « أيُّما

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

عبدٍ من أمتى همَّ بحسنةٍ كُتِبت له واحدةً ، وإن عمِلها كُتِبت له عشرَ أمثالِها ، وأيُّما عبدٍ همَّ بسيئةٍ لم تُكْتَبْ عليه ، فإن عمِلها كُتِبت سيئةً واحدةً ، ثم كان يُتْبِعُها ويَمْحُوها اللهُ ، ولا يَهْلِكُ إلَّا هالكٌ »[1] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ « الأحقافِ »

(١) أخرجه أحمد ٤/٣١٥ (٢٥١٩) ، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس .